# رِيَاضُ الفِكْرِ

## آراءٌ وآداب

أحمد النجار

# رِياضُ الفِكرْ

## آراءٌ وآداب

**تأليف:**
**أحمد النجار**

إصدارات دار ديوان العرب

للنشر والتوزيع

اسم الكتاب: رياض الفكر

اسم المؤلف: أحمد النجار

رقم الإيداع: 2020/5613م

الترقيم الدولي: 978-977-998-034-8

حقوق الطباعة محفوظة للمؤلف

ابن معيط للطباعة

# إهداء

**إلى مشايخي وأساتذتي الذين علموني**

**إلى والديَّ وأخي وزوجتي وولدي حفظهم الله**

**إلى كل من وقعت عينه على هذه السطور وأسعدني بقرائتها**

**أهدي لكم كتابي**

# المقدمة

خلق الله سبحانه الإنسان وأنعم عليه بنعمة العقل والتفكير، ليتفكر في آيات هذا الكون ودقة صنعه ونظامه الذي يسير عليه، وليعلم مدى عظمة الخالق سبحانه، ثم ليتفكر في أمور حياته ومعاشه وكيف يعمر هذه الأرض وينتفع بها وينفع غيره.

والمتفكرون هم دائما الأقرب إلى الله تعالى، ويوجد الكثير منهم على غير ملة الإسلام، إلا أنهم بعد تفكر طويل غالباً ما يهتدون إلى معرفة الله تعالى.

ومن يبغي تحصيل المعرفة والفهم، عليه دائماً بمطالعة الكتب والتجول في أفكار وعقول المفكرين والكتاب، فإن ذلك يختصر على القارئ تجارب وأعمار ويساهم في بناء عقليته وفكره الخاص، النابع من شخصه وليس من تبعيته لعقل غيره.

وهذه السطور تحتوي على نظراتي وأفكاري وتفكري فيما يدور في مجتماعتنا، وطرح بعض سبل العلاج لعل وعسى أن ينتفع بها أحدهم، فيكون لي وله الأجر والثواب.

وإن كل عمل دون كتاب الله سبحانه، يعتريه النقص والخلل وتظهر فيه العيوب، ليعلم الإنسان مدى عجزه أمام خالقه وبارئه وذلك ينطبق على ما سُطِرَ في هذا الكتاب.

فمن وجد فيه ما يستحق المراجعة وإعادة النظر فليطلعني على ذلك وجزاه الله عني خيراً، وكما قال الفاروق سيدنا عمر رضي الله عنه: "رحم الله امرأً أهدى إلي عيوبي".

**أحمد النجار**

# المولد النبوي بين التشدد والمغالاة

كنا في الأمس القريب نعايش فعاليات وأنوار الإحتفال، بمولد نبي الإسلام ورحمة الأنام، سيدنا محمد ﷺ ، وفي إطار هذا الحدث الطيب المبارك، تتكرر صراعات بين من يبدعون الإحتفال بالمولد النبوي الشريف، وبين من يوجبون الإحتفال بمولده ﷺ.

أما من ينكرون ويبدوعون، فيستندون إلى أن هذا الفعل لا يليق بالمسلمين وأنه خروج عن آداب وتعليمات الدين ومخالفة صريحة له، كما أن طريقة الإحتفال فيها الكثير مما يخالف ظاهر الشرع، كما يفعل البعض الذين ينسبون أنفسهم للتصوف الإسلامي الرشيد وهم ليسوا كذلك.

وأما الفريق الآخر، فيرون أن الإحتفال لهو أكبر دليل على المحبة الصادقة، لسيدنا رسول الله ﷺ، وأن الإحتفال بالمولد فيه

لونٌ من الإمتنان والإقرار، بفضل سيدنا رسول الله ﷺ على هذه الأمة، حيث أخرجها من الظلمات إلى النور، ودعاها لعبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد، وحثها على الفضائل ومكارم الأخلاق، وفي الحقيقة الخلاف بين الفريقين لهو خلافٌ يسير، إلا أن المغرضون أوغروا الصدور، بهدف شق عصا الوحدة بين المسلمين .

والذي لا يختلف فيه أحدٌ، أن الإحتفال بسيدنا رسول الله حينما يكون عن طريق التصدق على الفقراء والمساكين، والإكثار من الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ، وإن كانت مطلوبة في كل الأوقات لما عُلِمَ من بركات الله، وأنواره التي يكرم بها المكثر من الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وأيضا القراءة في سيرته والإقتداء بأفعاله وأخلاقه، وإقامة مجالس المدح والذكر، لهو لون من ألوان الإحتفال خيرٌ مما سواه .

وخلاصة الأمر أن الإحتفال بالمولد النبوي بهذه الألوان الطيبة، التي فيها ما فيها من البهجة والسرور، لهو شئٌ محبوبٌ ومطلوب، ومن أطرف ما سمعت أن أحد المنكرين، قام بالتعليق

لصديق له على موقع التواصل الإجتماعي فيسبوك، بأن الإحتفال بالمولد لهو بدعة منهي عنها في الدين، فقامت فتاة بالرد عليه قائلة : "إن لم تحتفل بنبيك فبمن تحتفل يا كذا" وتملكني العجب إزاء هذا الموقف .

وقد كتبت قصيدة في المولد النبوي، فرحاً بسيدنا رسول الله ﷺ، فكل عام وحضراتكم بخير

**وإليكم القصيدة :**

***يا شهر ميلاد الرسول أتيتنا * بالنور أهلا بالربيع النادي***

***عطرتنا طيبتنا بالمصطفى * شوقت قلبا للحبيب ينادي***

***هم يا ربيع النور فخرا قد علو * ت وطبت ذكرا بالحبيب الهادي***

***طب القلوب وسر نور قلوبنا * داعي الخلائق رحمة لرشاد***

***يا سيد السادات إني مغرم * لي في وصالك مطمع وأيادي***

***في يوم مولدكم شدوت بمدحكم * فرحا وحبا مسلما لقيادي***

***لا أرتجي بالمدح غير رضائكم * لا أنثني عن مدحكم ووداد***

أنت الذي لولاك ما كنا عبد * نا ربنا كلا وكنا نعادي

فالفضل يشمل كل عبد مسلم * في كل قطر في قرى وبلاد

حق لمن عرف الحبيب محمد * أن لا ينام صبابة لمراد

إني لأعجب من بعيد غافل * ينفي المحبة من قبيل عناد

ينهى الخلائق عن وداد نبيهم * وكأنهم بودادهم من عاد

حب النبي لمن أراد فضيلة * فهو الوسيلة شافع لعباد

هذي قوافي رتبت لمحبة * في قلب ناظمها بخير مداد

وهو الصلاة على الحبيب محمد * طب القلوب وشافعي لمعادي

صلى عليه الله ما ناح الحما * م بكل أرض قد دنت وبعاد

# الإمام الشهيد

في هذه الأيام، تحتفل الديار المصرية بمولد السبط الإمام الشهيد، سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- وابن السيدة فاطمة الزهراء -رضي الله عنها وأرضاها- سبط سيدنا رسول الله ﷺ وريحانته، وسيد شباب أهل الجنة، ذلك الإمام الذي أفنى عمره عابداً زاهداً مجاهداً في سبيل الله .

أثارت حياة الإمام الشهيد، الكثير والكثير من خلق الله بين محب مغال ومبغض حقود، لما جعل الله لآل البيت النبوي المطهر، من مكانة فطرية ومحبة متأصلة، في قلب كل من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله .

ومن أبرز النقاط الحياتية المهمة التي أثرت في الناس، هو موقف الإمام الحسين من خلافة اليزيد بن سيدنا معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عن سيدنا معاوية- فقد بايع الإمام سيدنا

معاوية ﷺ، لما رأى في ذلك من توحيد للصفوف، وحقن لدماء المسلمين التي أريقت في الفتنة العظيمة، بين سيدنا علي وسيدنا معاوية .

وسيدنا معاوية صحابي جليل، من صحابة سيدنا رسول الله ﷺ، ومن أوائل الذين أسلموا من بني أمية، واستأمنه الرسول على كتابة الوحي، وولاه سيدنا أبوبكر الصديق ﷺ الشام لما رأى فيه من حكمة وذكاء وسياسة، وأقره على ولاية الشام سيدنا الفاروق عمر ﷺ ، وسيدنا ذو النورين عثمان ﷺ، فله من الفضل والمكانة ما لا يجحده أحد.

أما اليزيد فهو كغيره من الأمراء لهم حسناتهم وسيئاتهم، ولا ينكر أحد جهوده في إصلاح الدولة وحال المسلمين، ولا جهاده في سبيل الله، إلا أن المصائب التي حصلت في عهده، لا ترضي أحد ولا يُقِرُّ بها منصف .

فنعم هو لم يأمر بمقتل سيدنا الإمام الشهيد ولكنه لم ينه عنه، وإنما ترك الأمر لبغي عبيد الله بن زياد وحقد شمر بن ذي

الجوشن، ونعم هو لم يأمر بضرب الكعبة المشرفة وحرقها، ومقتل سيدنا عبدالله بن الزبير -رضي الله عنهما- ولكنه ترك الأمر لبغي وتجبر الحجاج بن يوسف، فأمره إلى الله لا نحكم له أو نحكم عليه .

أما الإمام الشهيد فهو لم يرض أن تؤول خلافة المسلمين لصبي، وهناك من المسلمين من هو أكفأ منه، ولم يرض أن تكون الخلافة ملكا عضوضا يورثه الآباء للأبناء وإن كانوا لا يصلحون، فلم يبايع له وخرج بأهله وماله إلى مكة فلم يتركوه، فخرج للكوفة حيث عاهدوه على الوقوف معه من أجل صلاح البلاد وخذلوه، فمات رحمه الله شهيداً غريباً في سبيل الله، وبغية الإصلاح في أمة جده محمد ﷺ .

**وفي ذكرى مولده عليه السلام، نظمت هذه الأبيات :**

***يا ابن النبي المصطفى * سبط الرسول المجتبى***

***إني محب قد صبا * عشقا لجدكم النبي***

سيد شباب العالمين * إنا أتينا مهتدين
عند المقام ومادحين * نرجوا رضا الرب العلي

الله شرف قدركم * دوما وأعلى ذكركم
آل النبي محبكم * درج المكارم يعتلي

حب الإمام شهيدنا * بين الخلائق زادنا
عند الحبيب يزيدنا * نورا فصرنا نهتدي

دع يا عزولي ما تروم * كن مبغضا أنت الملوم
أبدا محبتنا تدوم * لحسيننا لا تنجلي

ربي سألتك باحترام * ترضى عن السبط الإمام
هذا الحسين أبو الكرام * من للمعالي يرتقي

ثم الصلاة على التمام * لرسولنا ماحي الظلام
والآل والصحب الكرام * ولكل عبد مقتدي

# ليتفكروا

لابد لنا من حينٍ لآخر من التفكر في لطائف صَنعة الله ﷻ وحكمته في هذا الكون، فإن الحديث عن فضل الخالق ومَنِّه وكرمه على العباد فيه ما فيه من راحةٍ للنفس، وشحنٍ للهمة وبذر بذور المحبة لله ولرسوله ﷺ.

فإن العبد إذا ما علم قدر خالقه ومدى رحمته به وعنايته، يمتلئ قلبه بالمحبة لهذا الخالق العظيم، فلا بد للمرء من حينٍ لأخر أن يتفكر في عظمة الله ﷻ، فإن التفكر هو باب الحكمة وباب الفهم، وهو ما تميز به خليل الله سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل صلاة وأزكى تسليم، واهتدى به لله الواحد الأحد.

وإني لأعجب ممن رزقه الله العلم والفهم، وتمكن من ملاحظة التكوين الدقيق لكل ما خلق الله في الكون، ولم يهتدِ بَعدُ إلى أن خالق كل ذلك الجمال هو إلهٌ واحدٌ قادرٌ، فلم يكن مِثلَ الأعرابي

الذي رزقه الله الفهم، فقال مقولته الشهيرة: "البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير، فسماءٌ ذات أبراج وأرضٌ ذات فجاج ألا يدل ذلك على الحكيم الخبير" فهو بفطرته السليمة، وتفكره فيما خلقه الله حوله من مخلوقات بنظامٍ بديعٍ محكمٍ، اهتدى إلى أن مبدع كل ذلك هو إلهٌ قديرٌ حكيمٌ وخبير.

ومن أهم ما نتفكر فيه، هو مظاهر العناية الإلهية التي أحاط الله بها عباده، وأنه مطلعٌ على أدق مخلوقٍ من مخلوقاته، ويرعاه ويحفظه ويرزقه، أليس ذلك واضحاً في أمر الجنين في بطن أمه، ذلك الذي لا حول له ولا قوة، أيسر شئ وأهون شئ يمكن أن يؤذيه، ولكنه محفوظٌ بحفظ الله قد يَسَّرَ الله له، كيفية وصول الغذاء إليه والرعاية له، وهو في بطن أمه.

ولما كان في قصص السابقين الدروس والحكم لمن بعدهم، فدعوني أروي لكم هذه الحكاية: فقد ورد عن سيدنا داود النبي عليه السلام، أنه دعا الله وقال: "اللهم يامن يرزق النعاب فى عشه ارزقني" والنعاب هو فرخ الغراب، وإذا فقس من البيضه يكون لون ريشه أبيض، فينكره الغراب ويتركه لأنه لايوافق لونه،

فيسوق الله تكرماً منه إليه البق وهو نوع من الدود، يقف على منقار الفرخ الصغير ويعجبه رائحة منقاره، فيقتات الفرخ منها حتى يحمم أى: ينبت ويسود شعره، فإذا اسود شعره أَلِفَهُ أبواه الغرابان، وأقبلا عليه يلقطانه الحب.

أليس كل ذلك من عناية الله بخلقه، ومظاهر رحمته التي يجب نتفكر فيها، ونتدبر وندرك مدى التقصير الذي نحن فيه، وسوء معاملتنا مع الله، انظر كيف نسيئ وهو يحفظنا، ويرعانا ويلطف بنا ونحن لا نعلم.

فالعاقل هو من يدرك خطأه ويندم عليه ويستدرك ما فاته، ويجتهد ليكون أهلاً لمحبة الله، ويكون في المكان الذي يحب الله أن يراه فيه، وأن يعقد العزم على أن لا يفرط في طاعة الله، وأن يدوام التفكر والتدبر في حكمة الله، وتصريفه في هذا الكون، فهذا مما يحبه الله ويرضاه.

# تخلقوا بأخلاق الله

كثيرا ما نتحدث ونطمع في عفو الله ورحمته، وكرمه وحلمه وغفرانه، ونرجوا دائما أن يعاملنا الله بلطفه وفضله، وأن يتجاوز عما يصدر منا من تقصير، إما في الطاعات والعبادات أو وقوع في المعاصي والمحرمات، ولكن أغلبنا ينسى أن الله ﷻ يحب من عباده الذين يتخلقون بأخلاقه، ويوجب لهم رضوانه.

ولذلك كل من جائت إلينا أخبارهم وسيرهم من الصالحين والعلماء، كانوا موصوفين بمكارم الأخلاق، وهم بذلك مقتدون بسيد الخلق ﷺ، والأنبياء الكرام والصحابة الأطهار ﷺ، والكل هنا متخلق بأخلاق الله تعالى، والذي يؤثر حياة الزهد والعبادة دائما يبدأ طريقه بالتخلق بأخلاق الله ما استطاع.

والمتخلقون بأخلاق الله، هم أكثر من يدعون إلى السماحة والسلام المجتمعي والإنساني، فإن من أخلاق الله تعالى الحلم

والذين يتخلقون بهذا الخلق، دائما ما يجاهدون أنفسهم لتنجب المشادات والمشاحنات، التي لا تتسبب إلا في الفساد والفوضى.

واضعين نصب أعينهم قول الله تعالى: "والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين" فلذلك يكونون هم أكثر من يكظم غيظه، إذا تعرضوا لسفاهة سفيه وجهالة جاهل.

وهل كان أحد أشد حلما من رسول الله ﷺ، وقد وردت لنا حكايته مع الأعرابي الذي أغلظ له في القول، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كنت أمشي مع رسول الله ﷺ، وعليه بردٌ نجرانيٌّ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابيٌّ، فجبذه بردائه جبْذَةً شديدةً، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثَّرت بها حاشية البُرْد مِن شدَّة جَبْذَته

ثمَّ قال: يا محمَّد مُرْ لي مِن مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثمَّ ضحك، ثمَّ أمر له بعطاء" إن مجرد تصور هذا الموقف وذلك المشهد، يجعل المرء يتميز غيظاً وغضباً، فما

بالك بمن هو مخاطب بهذه الطريقة ومن مر به الموقف، ولقد عامله باللطف واللين وليس ذلك عن ضعف منه ﷺ، ولكنه تخلق بخلق الله تعالى.

وها هو الصديق أبو بكر ﷺ عندما خاض قريبٌ له مع الخائضين والمتكلمين، في عرض أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، بالرغم من تصدق أبي بكرٍ عليه في كثير من الأوقات، فلذا قرر أن يمنع عنه العطاء

فلما نزل قول الله تعالى: "وليعفو وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم" آثر أبو بكر أن يتخلق بخلق الله، وعفى وصفح عمن أساء في حق ابنته.

ولقد كان من دعاء إخوتنا النصارى أنهم يقولون : "واغفر لنا خطايانا كم نغفر لمن أساء إلينا" وهو دعاء طيب، أسلوبه فيه تعليم لمن يدعوا به لأن يفغروا لمن أساء في حقوقهم، إذا كانوا يرغبون أن يغفر الله لهم.

إن من أخلاق تعالى الكرم ومن أسمائه الكريم، وهو يحب من عباده الكرماء، والتخلق بهذا الخلق من أكبر الأسباب التي تنشر الود والألفة بين الناس، فإن أي إنسان إذا ما عامله أحد بالكرم بمختلف صوره وألوانه، فلا شك أنه سيحفظ له في قلبه الود والخير، إلا إن كان لئيم الطبع.

وليس هناك أحد من الناس قد تخلق بهذا الخلق، وإلا وتُذكَرُ سيرته بالخير حتى لو كان مَبلِيَّاً بأخلاقٍ أخرى فاسدة فإن الكرم يسترها، وما أصدق قول الإمام الشافعي في هذا الشأن حينما قال:

***وإن كثرت عيوبك في البرايا * وسرك أن يكون لها غطاء***

***تستر بالسخاء فكل عيب * يداريه كما قيل السخاء***

وقد حكى لنا أحد الأفاضل، أن الشيخ محمد زكي الدين إبراهيم عليه رحمة الله ورضوانه، حينما كان طالبا في الأزهر الشريف كان كثير الذكر لله وخاصة باسمه الكريم، حتى أنه من كثرة

الذكر به غلب على طبعه في كل شأنه وأحواله، الكرم مع كل خلق الله.

وأنه دعا ذات مرة بعض أصحابه للطعام، وكان ذلك في مطعم بجوار الجامع الأزهر، وبعدما أنهوا طعامهم أراد أن يدفع ثمن الطعام، فاكتشف أنه لا يحمل في جيبه أي مال، ومن فضل الله في نفس الساعة أتاه أحد معارفه وأعطاه مبلغاً من المال، وأخبره أن قد استعاره منه في وقت سابق والآن يرده إليه.

وتم دفع ثمن الطعام، والشاهد هنا أن الكريم من الناس يتفضل الله تعالى عليه بكرمه وستره ولطفه، والحقيقة أن أخلاق تعالى بحرٌ عظيمٌ عميق، لا تسعنا هذه السطور للغوص فيه، والتحدث عن دره وكنوزه، فما هذه السطور إلا غيض من فيض، فما أحسن وأجمل أن نتخلق جميعا بأخلاق الله.

# تواضعوا ولا تذلوا

التواضع من الأخلاق العظيمة التي يتحلى بها الصالحون، وهو خلقٌ عظيمٌ لأن التخلق به ليس ميسوراً على الإطلاق، بل هو في غاية الصعوبة وهو كذلك في غاية التعقيد، فهناك فروقٌ دقيقةٌ جداً إذا لم يلحظها المرء في ذلك الخلق، كان متذللاً لغير الله ﷻ والتذلل لغير الله تعالى، لا يليق بالمسلم ولا يليق بالإنسان بصفة عامة.

فالله تعالى قد خلقنا كراما أعزاء وفضل جنسنا البشري على سائر المخلوقات، فلا يليق أن يضيع الإنسان كرامة الله له بالتذلل لخلق الله، ولقد بُلينا في هذا الزمان بأُناسٍ اتخذوا التذلل وسيلة لنيل الرغبات والمكاسب، ولم يراعوا في ذلك خشية الله ولا سقوط ماء وجوههم.

وقد يتبادر إلى ذهنك عزيزي القارئ، أنني أعني الشحاذين والمتسولين ونعم هم معنيون بذلك، ولكن المعنيون أكثر منهم هم الذين أغناهم الله عن السؤال، ولكنهم تذللوا لأغراضٍ أخرى في نفوسهم لا دافع لها إلا الطمع وحب التملك والزيادة، وقد أسموا ذلك تواضعاً منهم وهم بذلك يخادعون الناس.

لكنهم لا يخدعون إلا أنفسهم، فهم إذ يظنون أنفسهم متواضعين تجد قلب الواحد منهم قد امتلأ بالكبر والغرور، فلا ينفك عن رؤية نفسه أعلى وأكبر وأعظم شأنا من فلانٍ وفلان، وأكثر خِيرةً وتقوى وتعبداً من فلان وفلان، وهذا المسكين تجده عند الحاجة لأي أحد من الوجهاء أو رفيعي الشأن، يتذلل لهم ولا أيسر عليه من ذلك ويسمى نفسه متواضعا، لذا فذلك النوع من الناس من الخيبة والضلال بمكان.

إن المتواضع الحق، هو الذي مهما علا شأنه وارتفع قدره بين الناس، لا يرى في ذاته الأفضلية على غيره، ولا يعتقد في ذاته سوى أنه واحد من الناس وعبدٌ من عباد الله، كما أنه لا يرى الفضل في علو شأنه وكرامته إلا لله تعالى، ثم إنه مثلما لا يرى

نفسه أعلى من غيره كذلك لا يتذلل لأحد من خلق الله، حتى لو كان من الوجهاء والأمراء، ولا يستحقر ذاته مقارنة بهم فهو لا يرى إلا أنه وهم من عباد الله.

ولا فضل لأحد على الآخر إلا بتقوى الله تعالى، وتفاوت درجات التقوى لا يمكن أن يعرف إلا يوم الحساب، ويوم العرض على الله عز وجل.

وقد رُوي لنا أن الإمام علي زين العابدين، بن الإمام الحسين رضي الله تعالى عنهما، مَرَّ وهو راكبٌ على دابته بأناسٍ بسطاءٍ قد فرشوا طعاماً، وقد قاموا بدعوته ليتناوله معهم وألحُّوا عليه في الدعوة، فلبَّى دعوتهم ولم يرى نفسه أنه أعلى قدراً منهم، لأنه سليل بيت النبوة وهم من غُمار الناس، بل إنه عندما نزل عن دابته تلا قول الله تعالى: "تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين"

وهناك آفةٌ عظيمةٌ تصيب في الغالب طلاب العلم، وطلاب طريق الحق والزهد، فهم أكثر المعنيون بمكارم الأخلاق والمخاطبون بالتواضع، إلا أنهم أكثر من تذل أقدامهم في الكِبر، وقد قال أحد الأفاضل: "اعلم أن العلم على ثلاثة أشطار، فمن حاز الشطر الأول تكبر ومن حاز الشطر الثاني تواضع، ومن حاز الشطر الثالث أدرك أنه لا يعلم شيئا"

فعلى طالب العلم أن يدرك مدى خطورة هذا المرض وهذه الآفة، فإن النفس أمارةٌ بالسوء والشيطان يزين لطالب العلم الكبر والإعجاب بالنفس، فعندما يرى طالب العلم نفسه، وقد حاز قدراً من العلم ميَّزه عن باقي الناس يتكبر عليهم، وعندما يرى سالك طريق الحق في نفسه شيئا، من إكرام الله له بين الناس وهو في مُستهل سيره، يدفعه الشيطان بسبب ذلك للتكبر.

فعلى كل منهما إن رأي من نفسه ذلك الحال، أن يتوب إلى الله ويصحح نيته في طلبه للعلم، وسيره في طريق الحق، وأن يجعل طلبه وسيره من أجل الله والنفع لعامة الناس وخاصتهم،

وليس للتكبر عليهم ونيل الحظوة عند العلماء والصالحين، وعليه أن يتذكر دوماً شيئان.

**الأول:**

هو أن كثرة العلم مع التكبر في القلب، مُهلكة ومُغضبة لله تعالى، وأن إبليس كان أعلم الملائكة ولكنه طرد من رحمة الله تعالى، لأنه تكبر وعصى أمره.

**والثاني:**

أن العالم الحقيقي، هو الذي يتواضع لخلق الله الصغير منهم والكبير، في غير تذلل، وما أصدق قول الشاعر حينما قال:

***وملأى السنابل تحني رأسها خجلا * والفارغات رؤوسهن شوامخ***

# تخلقوا بأخلاق المُكَمَّل

"ما أُعطِي أحدٌ شيئاً خيراً من حسن الخلق" والذين حَسُنَت أخلاقهم من الناس وكَرُمَت، صاروا من القلة والندرة بمكان، ولقد سائت أخلاق أغلب الناس وجاوزت في فسادها كل مدى، فكان لزاماً علينا أن نستفيق من هذه الغفوة، وأن يكون لنا رجوعٌ وإيابٌ إلى طريق الحق ومكارم الاخلاق.

وإن ابن آدم من طبعه أنه مهما استمع للمواعظ والإرشاد، فلن يكون ذلك مثل المشاهدة الفعلية لمضمون الموعظة، فلذا كان ذِكرُ سير الصالحين وما كانوا يتحلون به من مكارم الأخلاق، من أهم الأسباب التي تساعد على انتشار المنظومة الأخلاقية، لأنها ترفع الهمة وتدفع الإنسان دفعا إلى التحلى بمكارم الأخلاق.

ولكي يصل الإنسان إلى الدرجة المطلوبة من الإتصاف بالأخلاق، كان علينا أن نضرب المثل والقدوة الحسنة بمن هو

الأكمل والأمثل في الاتصاف بها، إنه سيدنا رسول الله ﷺ، فلم يكن هناك إنسان أكمل وأحسن خلقا منه ﷺ، الذي قال له ربه: "وإنك لعلى خلق عظيم".

وإنه من بين كل الصالحين والعظماء الذين روى التاريخ لنا سيرهم وأخبارهم لا تجد أحداً أعظم وأكمل في أخلاقه من النبي الكريم ﷺ ، حتى أن أم المؤنين السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها حينما سُئِلَت عن أخلاقه ﷺ قالت: "كان قُرآناً يمشي على الأرض" بمعنى أنه كان المثل الأعلى والأكمل في تطبيق تعاليم القرآن الأخلاقية والشرعية.

ومن جملة أخلاقه ﷺ أنه كان حليماً شديد الحِلم على كل من يسيئ إليه أو يجهل عليه، كان حليماً مع من يكذبون دعوته ويحاربون رسالته، ويروى أنه مر عليه وفد من اليهود فألقوا عليه السلام ظاهراً وهم يسبونه فكانوا يقولون: "السام عليكم" فيكتفي رسول الله ﷺ بأن يقول: "وعليكم"

وقد كان يأمر أصحابه بالحلم ويحثهم عليه فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا شَتَمَ أَبَا بَكْرٍ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْجَبُ وَيَتَبَسَّمُ ، فَلَمَّا أَكْثَرَ رَدَّ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَامَ ، فَلَحِقَهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ:

يَا رَسُولَ اللهِ كَانَ يَشْتُمُنِي وَأَنْتَ جَالِسٌ ، فَلَمَّا رَدَدْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ ، غَضِبْتَ وَقُمْتَ ، قَالَ " :إِنَّهُ كَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَنْكَ ، فَلَمَّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ ، وَقَعَ الشَّيْطَانُ ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَقْعُدَ مَعَ الشَّيْطَانِ

"ثُمَّ قَالَ: " يَا أَبَا بَكْرٍ ثَلَاثٌ كُلُّهُنَّ حَقٌّ: مَا مِنْ عَبْدٍ ظُلِمَ بِمَظْلَمَةٍ فَيُغْضِي عَنْهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، إِلَّا أَعَزَّ اللهُ بِهَا نَصْرَهُ ، وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ عَطِيَّةٍ ، يُرِيدُ بِهَا صِلَةً ، إِلَّا زَادَهُ اللهُ بِهَا كَثْرَةً ، وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ ، يُرِيدُ بِهَا كَثْرَةً ، إِلَّا زَادَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا قِلَّةً. " وبذلك نعلم فضل الحلم وعدم إجابة الجاهل والسفيه.

وكان من أخلاقه أيضاً ﷺ الوفاء بالعهد، وكان هذا الخلق متأصلاً فيه حتى من قبل أن يُبعَث بالنبوة والرسالة، فقد ورد عنه أنه في شبابه تواعد مع أحدهم على تجارة، فأتى إلى مكان اللقاء المتفق عليه، إلا أن الرجل تأخر في المجيئ قيل ثلاثة أيام، فانتظره الرسول الكريم ﷺ حتى قدم إليه، فتعجب الرجل من مدى صدقه وأمانته ووفاءه بالعهد.

فلم يكن من قليل أنه ﷺ كان يلقب بالصادق الأمين، فأين الناس الآن من هذا الخلق العظيم؟ وصدق الله العظيم إذ يقول: "وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا" وحسبنا قول الله تعالى: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا".

# مَن الأشراف؟

"لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر" صدق الرسول الكريم ﷺ وإن من طبع الإنسان من القدم التكبر والتفاخر بالانساب والأحساب، وإن الكبر هو أعظم الآفات التي تصيب الإنسان على الإطلاق، ذلك أنه أول وأقبح ذنب عُصِي الله تعالى به.

وفي زمنٍ قريبٍ وحتى في زمننا الحالي هذا، صار التكبر بالأنساب شائعاً لدرجة توجب السآمة والغضب، وعند المسلمين لا يوجد نسبٌ أعظم وأشرف قدراً من نسب رسول الله ﷺ ويُطلق على المنتسبين إليه ﷺ اسم "الأشراف".

وهم العائلات في الوطن العربي والإسلامي، التي يصل نسبها إما إلى الإمام الحسن بن علي رضي الله عنهما، أو الإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما، وأنعم به وأكرم من نسب هذا الذي ينتهي إلى هؤلاء الأئمة الأعلام الأطهار ﷺ.

ولكن أصبح يوجد الآن الكثير ممن يتخذون هذا النسب مدعاةً للتفاخر على سائر الخلق والتكبر عليهم، والمعاملة معهم بدونية، وهذا مما لا يرضي الله تعالى ولا يرضي سيدنا رسول الله ﷺ الذي قال: "كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربيٍ على أعجميٍ إلا بالتقوى".

وهؤلاء القوم لا يعرفون من كلام الله تعالى إلا قوله: "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجز أهل البيت ويطهركم تطهيرا" ولا يعرفون قوله تعالى: "إن أكرمكم عند الله أتقاكم" وكذلك قوله تعالى: "فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يمئذ ولا يتسائلون"

ويذكرون دوماً قول رسول الله ﷺ "كل نسبٍ وحسبٍ مقطوع يوم القيامة، إلا حسبي ونسبي" ولا يذكرون حديثه مع بني هاشم حينما قال لهم: "اعملوا فلست أغني عنكم من الله شيئا، فلا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم"

إن من بَطَّأَ به عملُهُ لا يسرع به نسبه ليلتحق بصحبة الأنبياء والصالحين والشهداء، وفي هذه السطور أريد أن أذكر نفسي وهؤلاء القوم بمن هم الأشراف، وهذا من باب قوله تعالى: "وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين"

فمن هم الأشراف؟

الأشراف هم العلماء العباد، الذين يجتهدون في عبادة الله سبحانه وتعالى قدر ما يستطيعون و لا يتكبرون على خلق الله، يقتدون في ذلك بالإمام علي زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهما، الذي كان يلقب بالسجداد لكثرة سجوده تعبداً لله.

وكذلك كان يلقب بزين العابدين وقد كان ﷺ حيياً مُتواضعاً لا يتكبر على الخلق، من أجل قرابته من رسول الله ﷺ وقد روي عنه أنه قد دعاهُ قومٌ فقراء إلى طعامٍ لهم، وألحُّوا عليه فلباهم وجالسهم، وتلا قول الله تعالى: "تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين.

والأشراف هم أهل الكرم والسخاء من الناس ،الذين لا يبخلون على سائلٍ أو محتاج، ممتثلين لقول الله تعالى: "وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم" وممتثلين كذلك لقول جدهم ﷺ فيما يروى عنه:

"ثلاث أقسم عليهن ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة فصبر، إلا أبدله الله عزاً ولا فتح عبد باب مسألة بذلٍ إلا فتح الله عليه باب فقر" وهم بفعلهم ذلك يقتدون بحال الرسول الكريم ﷺ الذي ما سأله سائل قط إلا أعطاه إن وجد، فإن لم يجد يقول له: "اذهب وابتع علي".

إن الأشراف هم الذين يتحلون بمكارم الأخلاق، ويحسنون القول والفعل، ويتعاملون مع سائر الخلق بتواضع ومودة، وهم أهل الخير والفضل والعلم، فعلى هؤلاء المتفاخرون أن يعلموا أن النسب الشريف هو تكليفٌ قبل أن يكون تشريف.

فمعنى أنك شريف أن الناس يجب أن يروا فيك أخلاق جدك رسول الله ﷺ وصفاته وأفعاله، ومعنى أنك شريف أن تكون أكثر اجتهاداً من غيرك في طاعة الله تعالى، وإلا فيا شدة خجلك يوم القيامة وعند لقاء الرسول الكريم ﷺ وقد أتيته متفاخرا، وليس لك من طاعة الله والعلم نصيب.

# رب ارحمهما كما ربياني صغيرا

إن بر الوالدين من الأعمال العظيمة التي يحبها الله تعالى ويرضى عن فاعلها، وقد حث عباده على البر فإذا به يقرن بر الوالدين بطاعته وعبادته، يقول المولى ﷻ في محكم التنزيل: "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه والبوالدين إحسانا" والمولى ﷻ وهو العظيم لا يقرن بذاته شيئاً إلا وهو عظيم.

فكان البر والإحسان للوالدين من العبادة التي أوجبها على خلقه وجاء الأمر بها في الشريعة الإسلامية، فشريعتنا قد أولت بر الوالدين عنايةً فائقةً يدل عليها أن المولى ﷻ جعل رضا الوالدين، جُزءاً لا يتجزأ من رضاه سبحانه.

ومن مظاهر اهتمام الإسلام بذلك أنه راعى التعابير التي تعلوا وجه الإنسان أو تكون في كلامه، وقد تكون سبباً في حزن والديه أو جرح مشاعرهما، فلا يتعامل مع والدليه بما يسبب

لهما الضيق والقلق، يقول المولى ﷻ : "ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما".

وعندما نتكلم عن البر لابد أن يتفكر الإنسان في عدة أمور، ويضعها نصب عينيه في كل وقت، حتى لا يعد ناكراً للجميل جاحداً للمعروف متبطراً على النعمة، وحتى يعلم لماذا لبر الوالدين كل ذلك القدر من الأهمية والعناية

**ولنبدأ بالأم**

فالأم هي الملجأ والملاذ الآمن، الذي احتوي بداخله ذلك الإنسان الضعيف الذي لا حول له ولا قوة وأقل صدمة يمكن أن تؤذيه، وهو أثناء ذلك يتغذى مما تأكل وتشرب ويأخذ من راحتها وصحتها وعافيتها القسط الكبير.

ثم تعاني هي الأمرين عند الوضع، فآلام الولادة قدرها الباحثون والعلماء أنها تساوي ألم كسر أضلع الإنسان، ثم من بعد ذلك تأتي الرضاعة فتستمر الأم في العطاء من صحتها وعافيتها، لصالح صحة وليدها وعافيته، ومما هو معلوم بالأدلة

العلمية أن عملية الرضاعة، تستهلك الكثير من طاقة وصحة الأم.

ولا يزال العطاء مستمراً بعد انقضاء فترة الرضاعة، فهي التي تسهر وتجتهد حتى يكون ثوب ولدها نظيفاً وبدنه نظيفاً صحيحاً، وإذا ما أصابه أي مرض لا تعرف الأم للنوم طعماً ولا للراحة مذاقاً حتى يُشفى ويتعافى من مرضه وعلته، وهكذا دواليك.

فأفضال الأم وعطاياها لا تنحصر ولا تنتهي، فلا تعجب بعد ذلك حين تجد الرسول الكريم ﷺ يحث أصحابه وأمته على بر الأم، ويخبرهم بعظمة قدرها ومكانتها، فقد روى ابن ماجه والنّسائي والحاكم وصحّحه، أن رجلاً قال: يا رسول الله أردت أن أغزوَ فقال له:" هل لك من أمٍّ"؟ قال نعم قال" فالزمْها فإن الجنة تحت رجلِها".

**أما الأب**

فإنه من لحظة علمه بأنه سيرزق بمولودٍ وأنه سيصير أباً، فإن الأرض لا تسعه من شدة فرَحهِ وسعادته بهذا المولود، وتتوقد بداخله نيران الرغبة والسعي لتوفير كل ما يحتاج إليه هذا المولود، فتجد الأب يسهر ويتعب من أجل هذه الغاية، ويسهر ويتعب ويعمل جاهداً لا يكل ولا يمل حتى يوفر لهذا المولود في بقية حياته، سبل العيش والرزق والحياة الكريمة.

والأب من شدة محبته لولده ينزع اللقمة من فيه من أجل أن تكون لولده، ويؤثر ولده على نفسه في كل شيءٍ من مأكلٍ وملبسٍ ومشرب، لذلك قال الرسول الكريم ﷺ، فيما روي عنه: "الوالد أوسط أبواب الجنة" أي أن بر الأب من أعلى أبواب الجنة وأعظها قدرا ومكانة.

وقد رأيت ذات مرةٍ رجلاً كبيراً في السن يركب دابته ويجلس أمامه ولدٌ صغير لا أدري أهو ولده أم حفيده، وكان يوماً شديد الحرارة وإذ به ينزع عمامته من على رأسه ويظلل بها رأس

الصغير ليقيه من حر الشمس، بينما تلقى هو الحرارة برأسه العاري رغم كبر سنه.

وفي الحقيقة أنا على دراية بأن هناك الكثير من الآباء والأمهات، على غير الصورة والشاكلة التي أتكلم عنها، وأنهم جاروا على أبنائهم وأسائوا إليهم، وأولئك حسابهم عند الله عسيرٌ شديد، ولكن هناك الكثير والكثير والحمد لله على نفس الشاكلة التي أتكلم عنها، ويستحقون أن يبرهم أبنائهم وأن لا ينكروا أفضالهم.

وليعلم الإنسان أن بر الوالدين لونٌ من ألوان الجهاد والسعي في سبيل الله وصدق الله العظيم إذ يقول: "وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا".

# أَنعِم بحسن الظن

حسن الظن من أفضل الأدوية، وأقوى وسائل السلام الاجتماعي والتعايش السلمي بين الإنسان وأخيه الإنسان، فضلاً عن ذلك هو عبادة عظيمة جداً لها الأجر الكبير عند المولى ﷻ، وقد أرشدنا الرسول الكريم ﷺ لهذه العبادة والتحلي بهذا الخلق الكريم.

فقد ورد أن النبي ﷺ خرج بأصحابه الكرام ﷺ إلى تبوك، وأمرَ من استطاعَ من أصحابه أن يخرج، وألا يتخلَّف أحدٌ إلا ضِعافُ الناس، ومن يأذن لهم رسول الله ﷺ بالمُكث لحاجةِ الناس، وظل رسول الله ﷺ يقطع الفيافي والقِفار مع أصحابِه الكرام، في حرٍّ شديدٍ وجهدٍ جهيدٍ حتى بلغوا تبوك.

وبينما هو ﷺ جالس بين أصحابِه افتقد كعب بن مالك ولمْ يرَه، فقال: ما فعلَ كعبٌ؟ فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله! حبسه بَردُاه، ونظرُه في عِطْفه، يعني: منعَه من الخروجِ إعجابُه

بنفسِه ولباسِه، فقال معاذ بن جبل ﷺ: بئس ما قلتَ، والله يا رسول الله ما علِمنا عليه إلا خيرًا (صحيح البخاري: [٤٤١٨]، وصحيح مسلم: [٢٧٦٩]).

ولو التزم الناس بحسن الظن مع بعضهم البعض، لوجدنا أن الخلاف بينهم يقل إلى أن يزول، لأن من أكبر أسبابه هو سوء الظن بالغير واعتقاد إضمار السوء والمضرة، كما أن حسن الظن من الأسباب التي تساعد على التغيير، وأعني تغيير حال الضال من الناس إلى طريق الهدى، وكف شر أصحاب الأذى من الناس، وقد يكون حسن الظن أحد أهم أساليب الدعوة والموعظة.

فإنك على سبيل المثال إذا كنت تعرف أحد المبتعدين عن عبادة الله، غير أنك تحسن به الظن أنه سيعود يوماً ويؤوب إلى خالقه ومولاه، وتعلمه بظنك هذا فيه وتخبر الناس بهذا الظن، فإن ذلك بلا شك مما سيؤثر عليه ولو قليلاً ويوقظ فيه الضمير، ويدفعه إلى أن يكون عند ظنك الطيب به.

والله سبحانه وتعالى يحب حسن الظن ويرغبنا فيه، فقد ورد في الحديث القدسي فيما يرويه الرسول الكريم ﷺ عن ربه: "أنا عند ظن عبدي بي..." فمن ظن بالله خيراً كان الله دوما عند حسن ظنه.

ونحن أمة النبي الكريم ﷺ، أولى أن نتخلق بخلق الله تعالى فنحسن الظن بغيرنا، ونكون عند حسن ظن غيرنا بنا، فسوء الظن بابٌ كبيرٌ للفساد والشرور، فكم من جرائمٍ اُرتُكِبت بسبب سوء الظن.

ولذلك فإنه لكي نتجنب سوء الظن، علينا أن نتثبت من كل ما يقال أو يحكى لنا، وعدم التسليم بأنه قولٌ صادقٌ لا يعتريه الكذب، وقد أرشدنا القرآن الكريم لذلك فقال تعالى: "إذا جائكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين".

وكما يقال فإنه بالمثال يتضح المقال

فيروى أنه عندما كانت مصر تحت حكم الدولة الأيوبية، وكان يحكمها الملك الكامل، أمر بأن يتولى العالم الموقر الجليل، شرف الدين أبو المكارم المعروف باسم (ابن عين الدولة) منصب قاضي القضاة في مصر، وكان رحمه الله قوياً في الحق صداعاً به لا يخشى في الله لومة لائم.

وقد ذُكِرَ في مناقبه أنه اختلف إليه بعض التجار يشكون بائعاً شاباً، لأنه يبيع للناس بضائع أكثر جودةً مما عندهم، وأقل سعراً من التي لديهم، فظن الناس بهم السوء وانصرفوا عنهم، وأقبلوا على البائع الشاب، مما تسبب في كساد تجاراتهم.

فسأله القاضي عما حمله على فعل ذلك، فأجابه الشاب أنه يخرج باكراً لينتقي بضاعته ويذهب للسوق ليبيعها بربحٍ قليلٍ، ثم يعود من أجل رعاية والدته المريضة، وإن كان التجار يتضررون مما أفعل، فليقوموا بخفض ثمن البضاعة التي يبيعونها، وليرضوا بالربح القليل.

فسأل القاضي التجار عن إجابتهم التي يردون بها على قول الشاب، فقالوا له أنه يقول ذلك لأنه ليس لديه دكانٌ يدفع أجرته، وعمالاً يدفع لهم، ولا مخازن يضع فيها بضاعته يدفع أجرتها كذلك.

فاقترح عليه القاضي أن يؤجر دكاناً ويبيع مثلهم، فأجاب أنه لا يستطيع ذلك لانشغاله بأمه المريضة، ولا يملك الوقت والمال الذي يسمح بذلك فاقترح القاضي على التجار أن يشتروا منه بضاعته الجيدة، ويقتسموها فيما بينهم، فلا تتضرر تجارتهم ويستطيع الشاب أن يواصل تكسبه لرعي أمه، فرضي التجار بذلك.

ثم بعد ذلك اقترح عليهم القاضي أن يقوم أحدهم بتزويجه من ابنته، لأن من كانت هذه صفاته وأخلاقه، فإنه يؤتمن على العرض، فاستحسنوا قول القاضي وقام أحدهم وأعلن أنه سيزوجه من ابنته.

ثم إن التجار لما علموا عذر الشاب ندموا على شكايته للقاضي، وقالوا أنهم لم يكونوا على علمٍ بحال هذا الشاب واضطراره لذلك، وأنه لم يكن ينوي أذيتهم في تجارتهم.

فتبسم القاضي وقال سبحان الله، دخلتم علي خصوماً وخرجتم أصهاراً، فلو أنكم تحسنون الظن لما اختلفتم وتحاكمتم إلي، وقد كان الناس في ظل حكم هذا القاضي، قليلاً ما يتخاصمون ويلجئون للقضاء، لأنه بعث في أنفسهم التخلق بحسن الظن، فأنعم بحس الظن.

# قيمة المشاعر الإنسانية في الإسلام

تتصف شريعة الإسلام بأنها دوماً خالدة وصالحة لكل زمانٍ ومكان، ذلك أن الشريعة لم تترك أي شأنٍ من شؤون الإنسان إلا تحدثت عنه، وبينت فيه الطريق الصحيح والوجه السليم، وهذا فضلٌ من الله تعالى على هذه الأمة فله الحمد والشكر.

وإن خِيرة الناس هم الذين يشعرون دوماً بغيرهم من الناس، ويراعون حق الله فيهم ويتجنبون إذايتهم بأي صورةٍ من صور وألوان الإذاية، وهم كذلك الذين وصفهم الرسول الكريم ﷺ بقوله فيما يروى عنه: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"

وإن الشريعة الإسلامية كما أَولَت العناية بالعبادات المَنُوطة بالمسلمين تجاه ربهم وخالقهم وبارئهم، فإنها أولتها كذلك بالمعاملات التي تكون بين المسلم وأخيه المسلم وكذلك غير المسلم.

فمن حسن أخلاق وشمائل المسلم التي يجب أن يتحلى بها، مراعاة مشاعر أي إنسانٍ غيره وتجنب إذايتها، وما يتسبب بجرحها من قولٍ أو عمل.

ووجهت الشريعة المسلم إلى مراعاة ذلك مع الصغير والكبير، القريب والبعيد، الخاص والعام، المؤمن وغير المؤمن.

**فمع الوالدين**

وجهتنا إلى بِرَّهما وطاعة أمرِهما فيما لا يعصي الله ﷻ ومراعاة مشاعرهما، فيتجنب الإنسان كل فعلٍ أو قولٍ يتسبب بجرح مشاعرهما، فلا يتكلم بكلامٍ غليظٍ أو شديدٍ لا يعرف كيف يكون وقعه على المسامع، كما أنه يجب عليه ألا يَلقَى والديه بوجهٍ غاضبٍ او به سأم، كما لا يتسبب بما لايعود بالهم والحزن على قلبيهما.

وجِماعُ ذلك كله قول الله سبحانه: "ولا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا"

**ومع الزوجة والولد**

فقد وجهت الشريعة إلى حسن التعامل معهما، ورعاية عدم المساس بمشاعر كل منهما، وذلك بالطبع مع حسن التربية وعدم التقصير في هذا الشأن.

وقد أوصى الرسول الكريم ﷺ بهم خيراً، فقد جاء في خطبة الوداع: "واستوصوا بالنساء خيراً فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله" وروي عنه أيضاً ﷺ أنه قال: "رفقاً بالقوارير" وفي ذلك إشارة إلى كمال العناية بالنساء والترفق في معاملتهن.

**وأما الولد**

فقد روي عن رسولنا الكريم ﷺ أنه كان لطيفاً رقيقاً بأبنائه وبناته، فإنه كان يلاعب أحفاده ويداعبهم، حتى أنه دخل عليه ذات مرةٍ رجلٌ وهو يلاعب سبطيه الحسن والحسين عليهما السلام ويقبلهما، فقال له الرجل:

إن لي عشرةً من الأبناء ما قبلت أحدهم قط، فقال ﷺ: "لاتنزع الرحمة إلا من شقي" وكل ذلك يدل على الرفق في معاملة الأطفال والأبناء.

فإن ذلك مما يساعد على تنشأتهم النشأة السوية، والتمتع بصحة نفسية سليمة، وشخصية قوية اجتماعية يُنتظر منها كل خير، بعكس من يتم تربيتهم بالغلظة والقسوة، فهم يكبرون إما أصحاب قلوبٍ قاسية وغليظة مثل من ربوهم، وإما منكسري النفوس ضعيفي الشخصية.

**أما عن الأقارب**

وجهتنا الشريعة إلى حسن معاملتهم والبر لهم، حتى وإن كانوا قاطعين لحبال الود والبر، فقد روي عن الرسول الكريم ﷺ أنه أتى إليه رجلٌ يشكوا أقاربه لأنهم يقطعونه، بالرغم من بره ووده وصلته لهم، فأوصاه ﷺ بمداومة بره لهم فإنه بذلك يكون له من الله عليهم خسيبٌ ورقيبٌ وشهيد.

ومن أرقى صور حسن المعاملة للأقارب، مراعاة عدم التسبب بما يجرح المشاعر، كما أن الشريعة أوصتنا بحسن المعاملة كذلك مع الجيران وحسن الجوار لهم، وكف الأذى عنهم بما في ذلك من جرح المشاعر، فقد روي عنه ﷺ أنه قال: "لا يزال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه"

**وأما مع عامة الناس**

فإن من كمال أخلاق الإنسان أن لا يتسبب في أذيتهم مادياً أو معنوياً، ولا يكون ممن يؤذون غيرهم بالفعل واللسان، فلا يكون ساخراً من غيره ولا متهكماً ولا سباباً لعاناً، قال الله تعالى: "ولا

تنابزوا بالألقاب" وقال الرسول الكريم ﷺ : "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده".

ومن وصاياه ﷺ الجامعة المانعة قوله فيما يروى عنه: ".....وخالق الناس بخلقٍ حسن" فإنك الآن عزيزي القارئ تجد أن الشريعة أتت بأرقى صور المعاملة مع سائر بني الإنسان، القريب والبعيد.

**هدانا الله وإياكم سواء السبيل**

# قَدِّرُوا نعمة الله

إن خير ما يتميز به الإنسان، هو عقله الذي ينظر به في الكون والموجودات، ويتوصل بنيتة للمعرفة الصادقة إلى النظر في الحقائق الكونية والعلوم الإلهية، وإن غاية كل عاقلٍ هي الحكمة، كما ورد عن الرسول الكريم ﷺ أنه قال: "الحكمة ضالة المؤمن، أينما وجدها فهو أحق بها"

والحكمة غايةٌ عزيزةُ المنال، ولا يُوفَّقُ للوصول إليها إلا القليل من الناس، والعقل والحكمة هما سببا رفع منزلة الإنسان، وعلو شأنه ومكانته على غيره من المخلوقات، وبغيابهما يكون الإنسان أحط منزلةً من الحيوانات وأخزى مقاما.

وإن أولى ما ينظر إليه العاقل ويتفكر فيه، هو ما حباه الله تعالى به من النعم والأفضال، التي إما أن يستطيع الإنسان إدارك بعضها بديهةً، مثل عافية البدن وسلامة السمع والبصر، أو يدرك بعضها بشيءٍ من التفكر والتدبر، مثل الولد الصالح

والزوجة الصالحة، أو يدركها بحسن ظنه بخالقه ومولاه ﷻ وثقته به، وبذلك يفتح الله له أبواب العلم والفهم والمعرفة ويملأ صدره بالحكمة.

وما وقع الناس في الهموم والقلاقل، وما أصابت قلوبهم الأمراض الأخلاقية، إلا بسبب رؤيتهم لنعم الله تعالى على غيرهم، وتغافلهم وتعاميهم عن نعم الله تعالى عليهم وهذا ضلالٌ مبين، لأن الإنسان فُطِرَت نفسه على حب الزيادة، من متاع الحياة الدنيا ومظاهر وألوان الراحة والرفاهية فيها.

فدوماً ينظر الإنسان إلى من هو أفضل منه حالاً وأعلى مقاماً وأكثر تمتعاً بهذه النعم، وتهتاج نفسه ويعتريه الغضب ويمتلئ قلبه بالحقد والحسد، ويتهم خالقه عز وجل بالظلم في قسمه بين عباده، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا، ويبقى بسبب ذلك طوال حياته يسعى خلف ما لم يُكتَب له، ويظل حزيناً قلقاً مضطرباً معترضاً على ربه، لا يهنأ له بال ولا يَقَرُّ له قرار.

وقد وجهتنا الشريعة إلى جهاد النفس والتغلب على أطماعها ورغائبها، وما تفعله في قلب الإنسان وما تبعثه فيه من أخلاقٍ دميمة، تُرهقه في حياته وتسقطه من عين المولى ﷻ.

وهذا الشأن من أخطر الشؤون التي يجب على الإنسان أن يجاهد نفسه فيها، وأضع لك عزيزي القارئ في هذه السطور بعض سبل الجهاد في هذا الشأن، لعل الله تعالى أن ينفعنا بها وإياك.

أول هذه السبل هو حسن الظن بالله تعالى في كل شئ، وتيقن أن الله سبحانه هو الأعلم بالخير والصالح لعباده، وأن العبد مهما بلغ من مقامٍ عالٍ في العقل والجكمة، فإن كل ذلك قاصرٌ عن حكمة ومراد الله في الكون.

وعلى العبد أن يردد في نفسه دائماً "الله أعلم بالخير لي" حتى يحصل بذلك الإقتانع النفسي التام، وعند رؤية من هو أفضل حالاً ونعمةً من الإنسان، فعليه أن يحدث نفسه بعد أشياء:

**أولاً:**

ذلك الإنسان الذي حباه الله بنعم وخيرات أكثر من غيره، ما الذي حرمه الله تعالى منه في المقابل، ولم أحرم أنا منه وأتمتع به.

**ثانياً:**

أن يتذكر الإنسان من هو أقل منه حالاً ونعمةً، فيعرف بذلك كم أنه غارقٌ في نعم الله تعالى عليه وهو لا يدري.

**ثالثاً:**

أن يتفكر الإنسان في النعم التي أنعم الله عليه بها، أياً كانت هذه النعم، وعليه أن يرعاها بأن يجتهد في معرفتها، وأن يشكر الله تعالى عليها، وأن لا يلتفت إلى نعم الله تعالى على غيره.

ولنضرب على سبيل المثال بعض النعم التي تفضل الله ﷻ بها على الإنسان، فمن هذه النعم صحة البدن، فإن من ابتلاه الله ﷻ بمرضٍ عضالٍ، يُقَدِّرُ هذه النعمة ويعرف قيمتها ويتمنى

الحصول عليها بكل ما تجود به يده، وكما يقال: "الصحة تاجٌ على رؤوس الأصحاء"

ومن لا يَقدِرُ على نفسه ويتفكر في قيمة هذه النعمة، ويغلبه شيطانه، فلينظر إلى المرضى في المشفيات، وليعاين آلامهم والمعاناة التي هم فيها، ثم لِيُعِد النظر في عدم التفكر في هذه النعمة من نعم الله تعالى عليه، وليحمد ربه، فلعله يدرك بذلك كم أنه الله تعالى به رحيمٌ ودود.

ومن هذه النعم أيضاً الحياة الآمنة، الخالية من القهر والإرهاب والتشريد والفقد والحرمان، فإن من ابتلاه تعالى بهذه المصائب أكثر ما يرجوه ويتمناه، أن يحيا حياةً آمنةً كالتي يحياها الكثير من الناس، وهم لا يقدرون النعمة التي هم فيها ولا يدركون قيمتها، ومن النعم كذلك الوالدان الصالحان، والزوج الصالح والزوجة الصالحة، والولد الصالح.

فهناك الكثير ممن يعيشون في شقاءٍ بسبب أزواجٍ غير صالحين، يتجبرون ويظلمون، وزوجات غير صالحاتٍ لا

يراعين حق الله تعالى في أزواجهن وأبنائهن، وأبناءٍ غير صالحين تسببوا لآبائهم بهمٍ وغمٍ دائمين

بسبب فساد أخلاقهم وسوء طباعهم، وآباءٍ غير صالحين جاروا على أبنائهم، وتسببوا لأبنائهم بالكثير من الأذى الجسدي والنفسي والمعنوي.

إن من نعم الله كذلك، أن يكون الإنسان مستور الحال يأتيه من رزقه ما يكفيه ويكفي من يعول، فإن هناك الكثر ممن لا يجدون مثل هذا الرزق، مثل الأرامل والأيتام والمديونين، فكل هؤلاء يتمنون هذه النعمة.

وإن من أكبر نعم الله تعالى، التوفيق لشكره تعالى على كل ما يجود به على الإنسان من نعمٍ وأفضال، وتوفيقه تعالى للعبد على القيام بحمده وشكره، وفعل الخيرات والصالحات، فعليكم بالرضا وقدروا نعمة الله.

# أرسلها لعشرين شخص وإن لم تفعل...

ظاهرة غريبة جدا منتشرة من فترة طويلة، على مواقع التواصل الإجتماعي فيسبوك وواتس أب، وهي أرسلها لعشرين شخص عندك، حيث تأتي رسائل بعدة صيغ مثل: أرسل **لا إله إلا الله** لعشرين شخص عندك، وإن لم تفعل ستجد هماً عظيماً، وإن فعلت ستجد فرجاً عظيماً، أقسم بالله سأنشرها لا تنس أنك حلفت.

**وهذه صيغة أخرى تقول :**

رسالة من الشيخ فلان حامل مفتاح الكعبة وهذا رقمه، حيث رأى رسول الله ﷺ، وقال له أبلغ الناس أن من ينشر الصلاة علي في الساعة كذا وفي اليوم كذا، عدد كذا مرة سيفرح بعد نصف ساعة، ومن لم يفعل سيصاب بغم لمدة سبع سنين...وهكذا دواليك .

وعندما نحلل هذه الظاهرة، نجدها تلعب على وَتَرِ التدين عند الناس، وهذا الشعب بالذات الذي هو متدين بفطرته، مما يدفع الناس لنشر هذه الرسائل فوراً وبدون تردد، وينتابهم الشعور بأنهم إن لم يفعلوا ذلك فقد أثموا.

وهنا نتسائل هل يليق بالله سبحانه وتعالى، أن يعلق مصائر عباده بالرسالة التي على الواتس أو الفيس بوك؟ ألا يفهم هؤلاء كم في ذلك من سوء أدب مع الله سبحانه؟ الله سبحانه أعز وأجل وأكرم وأرفع، من أن يعامل عباده بهذه الصورة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأنا لا أقول لك لا تَدعُ الناس ليقولوا لا إله إلا الله، ولا تَدعُ الناس ليصلوا على سيدنا رسول الله ﷺ، بل افعل ولك الأجر إن شاء الله، ولكن لا تقرن هذا العمل بالهم والغم عند عدم فعله، وتفرض على الله ما يعامل به عباده، وتأدب مع الله .

وفي النهاية أود أن أطرح سؤال وهو: إن الذي يكتب هذه الرسائل، وينشرها على مواقع التواصل الإجتماعي، ما غرضه من كل ذلك؟ سأترك الإجابة لك عزيزي القارئ.

# عام ٢٠١٩

ها هي الأيام تمضي سريعاً، وها نحن نغادر عام ٢٠١٨ إلى عام جديد، محملين بالكثير والكثير من الأحلام، والآمال والطموحات، شاكرين الله على ما قد مضى، ونسأله التوفيق فيما هو قادم .

مر هذا العام وله في خاطر كل فردٍ معنىً وذكرى، كلٌ يختلف عن صاحبه، فالبعض قد حقق فيه أحلامه والبعض حقق بعض هذه الأحلام، وبعض بين الأمل واليأس وبعض تملك منهم اليأس، وهذا حكم الله ﷻ على عباده، أن يكونوا مختلفين وأن تتباين أحوالهم وأيامهم.

ومن أعجب الظواهر أو الأحوال التي تكون عند شريحة كبيرة من الناس، الجمود التام في استقبال الأيام والمناسبات، من أمثال

العيدين وشهر الصيام وأيام الحج.....الخ، وقد كنت دائم التعجب من هذا الشعور، وأتسائل دوما عن سببه .

وأقول في نفسي كيف كنت أفرح كثيراً بمثل هذه المناسبات، وأنتظرها بل لا أستطيع النوم من فرحي بها، بينما الآن صارت مثلها مثل أي يوم بمللله ورتابته المعهودة، فلا يثير داخلي أي شعورٍ أو اهتمامٍ يذكر، وأجد الكثير ممن هم في عمري لديهم نفس الشعور.

بينما أنظر إلى الأطفال فأجد عندهم ما كان يعتريني عندما كنت في عمرهم، إذاً فما الذي تغير بداخلنا عندما كبرنا، حتى غادرت قلوبنا تلك المشاعر الطيبة والدافئة؟ هل هو الشعور ببعض المسؤلية؟ أم هل هو هم السعي على الرزق والزواج....الخ، مما يشغل أذهان من هم في عمري؟ وأقول أن هذا قد يكون سبباً كبيراً في ذلك، إلا أن السبب الأصلي في نظري هو ترك الثقة في الله .

وكيف توصلت لمثل هذه النتيجة؟ أقول أنني توصلت لمثل هذه النتيجة بتجربةٍ شخصيةٍ، أستطيع القول أنها غيرت من حياتي، ألا وهي سلوك طريق المحبين لله، نعم فعندما قررت أن أجالس هؤلاء الناس وأتعلم منهم، عادت لي روحي وعاد لقلبي براءته الطفولية، لكن في ثوبٍ أكثر عقلانيةً.

فبعد أن اطمأن داخلي وأيقنت، أن ما علي هو السعي والله هو المعطي، صرت أشعر من جديد بفرحة المناسبات، ويطيب داخلي وأقول أن حالي هو حال جميع من هم في سني، إلا أن قلبي راضٍ عن الله وعن فعله، فلا يأس عندي ولا هَمَّ .

فعليكم بمحبة الله والتوكل عليه، وتسليم الأمر إليه مع السعي على الأرزاق، ترجع إليكم قلوبكم وتطيب أرواحكم، وكل عام وبلدنا الحبيب بخير وكل بلاد المسلمين .

# تمثال براتيسلافا

براتيسلافا مدينة بدولة سلوفاكية، كل من زار هذه المدينة وجد هناك تمثالاً، لعامل نظافة مصنوع داخل فتحة التصريف، نصفه بالخارج والنصف الآخر بالداخل، وله قصةٌ عجيبةٌ تعبر عن أسمى معاني الوفاء والمحبة.

هي قصةٌ لرجلٍ كان يعمل في النظافة، وكان يحب فتاةً وأراد الإعتراف لها بحبه، ولكنه تردد بسبب ماهية العمل الذي يعمله، وفي النهاية اتخذ القرار بالإعتراف لها بحبه، وأخبرها عن حقيقة عمله فما كان منها إلا أن تهربت منه، ووعدته أن تقابله في ساعة معينة في المقهى الذي بجوارهم، ولكنها لم تُوفِ بذلك الوعد.

وما كان من الرجل إلا أنه ظل يومياً يأتي لذلك المكان، وفي نفس الوقت أملاً في أن تحضر، وكان ذلك إلى أن انقضى عمره ولم تأتي إليه، وكان هناك من الناس من علم بقصته، فكان يأتيه

أحياناً ليجلس معه لعله أن يؤنس وحدته ويواسيه، وتقديراً من الحكومة لهذا الرجل ومحبته الصادقة ووفائه بالعهد، قامت بصنع هذا التمثال، وأنشات بجواره مقهى تخليداً لذكراه .

وقد استوقفتني الكثير من النقاط، في هذه القصة البسيطة في محتواها والعظيمة في معانيها، فأول ما يستوقفني هو هذه النظرة العميقة، في أذهان وعقول أغلب الناس، ليس في أوروبا فقط ولكن عندنا أيضاً

من أن من يعمل في النظافة وما شابهها من وظائف، هو شخصٌ لا يستحق الإحترام والتقدير، ولا يستحق النظر له كإنسان من حقه أن يحب ويُحَب، وأن يعشق ويُعشَق.

هذه النظرة وهذا الإعتقاد ليسا من الإسلام في شئ، وليسا من الإنسانية في شئ، ولا يوجد في أي معتقدٍ أو ديانةٍ سماوية، وأنا في اعتقادي أن هذه الفتاة التي رفضته وكذبت عليه، لأنها أَنِفَت

من وظيفته أخطأت خطأ عمرها، الذي قد تندم عليه ولا تستطيع أن تتلافى آثاره.

فلو فرضنا أنها عثرت على الشخص المثالي في رأيها، وتزوجت به، فهل سيكون مثل الذي كذبت عليه، متصفاً بهذا الصدق وهذه المحبة، وممتلئاً بكل هذا الوفاء، في الغالب لا.

مما استوقفني أيضاً، هذا الكم الكبير من الوفاء بالعهد والميثاق، فهو رغم عدم مجيئ تلك المرأة، ظل يأتي لنفس المكان وفي نفس الساعة، حتى لا يخلف وعده معها، والله سبحانه يقول "وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا" وهذا الموقف ذكرني بسيدنا رسول الله ﷺ

حيث أنه كان قبل البعثة وقبل النبوة يعمل تاجراً، وواعده رجل على اللقاء به في مكان معين، فتأخر الرجل ثلاثة أيام، وظل سيدنا رسول الله ﷺ، ينتظره إلى أن جاءه، وما فعل ذلك إلا وفاءاً بالوعد الذي كان بينهما.

والسؤال الذي يطرح نفسه أين نحن الآن من هذا الوفاء؟ كيف صارت كلمات العهود والوعود والمواثيق، لا قيمة لها ينطق بها المرء بسهولةٍ كشرب الماء .

# من هنا كان منشأ التطرف

أصل أفعال المرء وقناعاته غالباً، يرجع إلى التنشئة البيئية والنفسية والثقافية، التي يتعرض لها في حداثة أسنانه، فإذا كانت هذه النشأة وهذه التربية سليمةً منضبطة، ومشبعةً بالقيم الأخلاقية الكافية والنظرة السليمة، والفهم والوعي الكامل لكل ما يخص الحياة

كان لدينا إنسانٌ مفكرٌ ومبدعٌ ورحيمٌ، وتتحقق فيه الإمكانيات اللازمة لخلافة الله له في الأرض، بأن يعبد الرحمن ويبني الأوطان.

وعلى العكس فإنه إن كانت هذه التربية وهذه النشأة، معدومة الرحمة والإنسانية ومشبعةً بالعنف والقسوة، كان لدينا إنسان أسوأ من وحشٍ مفترس، مليئٍ بالقسوة والغلظة ويتعامل بهما مع كل من هم حوله

ويعيش حياةً متخبطةً مليئةً بالضلال والضياع، إنسانٌ يُتوقع له ويُتنظر منه كل شر وسوء، وكل انحرافٍ عقديٍّ وخلقيٍّ وفكريٍّ، ومن هنا كان منشأ التطرف.

من هنا كان ابتداء التطرف، لأن التطرف ثمرة ونتيجة لفقدان معاني وصور الجمال والانسانية، في النشأة والتربية، فالذي فقد هذه المعاني في نشأته تكون نفسه مضطربة، وفيها شئٌ كبيرٌ من الخلل، وهذا الاضطراب ينعكس على كل شيءٍ في شخصيته.

فيكون عقله مليئاً بالأفكار الانحيازية والمتطرفة، وتراه انحيازياً متطرفاً في كل شئ، حتى في الاعتقاد الديني، وهو أخطر أنواع التطرف التي يمكن أن يتعرض لها أي إنسان

ذلك أن التدين له ميلٌ فطري كبير في نفس أي إنسان، وإن تم بناء الانتماء لأي دين، على فهمٍ ناقصٍ ومختل لتعاليم هذا الدين، كانت النتائج كارثية وهذا هو الذي نعايشه الآن.

فالمجموعات الدينية المتطرفة أمثال داعش وأخواتها، ما نجحت في تجنيد كل هؤلاء الشباب من العرب وغير العرب، إلا باللعب على وتر الدين وإيصال صورة خاطئة مشوهة، وتعاليم ناقصة في أذهانهم عن هذا الدين.

ولم يهملوا دور التربية النفسية، فقد عملوا على أن يقتلوا بداخل كل فردٍ فيهم، أي لونٍ للإنسانية والرحمة والجمال، فخرج إلينا رجالٌ ونساءٌ غلاظ القلوب، لا يتقون الله في أي أحد يخالف منهجهم واعتقادهم، ويستحلون ما حرم الله ورسوله .

ومن خلال ما سبق يظهر كم أن حكمة الله بالغة، وأنه أسس هذا الكون ورتبه على نظامٍ دقيق، وأنه أرسل لعباده الرسل والأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه، بتعاليم وشرائع محكمة، تضبط العلاقة بين الإنسان وخالقه، والعلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان، أرسلهم الله بشرائع محملة بتعاليم الرحمة والإنسانية والجمال.

ولما خالف الإنسان هذه التعاليم أفسد ودمر، وعندما صار همُّ رجال الدين الذين ضلوا عن الطريق، وشاغلهم المكانة والقدسية بين الناس، وحرفوا تعاليم الدين وأبدلوها، ونسبوها ظلماً وبهتاناً لله ورسله، ظهرت القسوة والغلظة والظلم والفساد، كل ذلك في ثوب الدين والتدين .

# الإستعباد الزوجي

إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وكرمه وأعلى مقامه، وجعله أرقى مخلوقاته إن هو اتقى الله وألزم نفسه طاعته والتوقف عند حدوده ومنهياته، وخلق له الكون على أبهى نظام وسخر له جميع المخلوقات، وجعل الله الزواج سنة عامة لهذه المخلوقات وعلى رأسها الإنسان.

وجعل لهذا الزواج أسساً وضوابط ينبغي أن يُبنى عليها، وجعل منه ثماراً طيبة تُجنى منه وأبرزها المودة والرحمة والتعاون، وهذه الأسس التي ينبغى أن يحافظ عليها الزوجان، لكي ينعموا بحياةٍ طيبةٍ هنيئة ويكون زواجهم زواجاً ناجحاً مثمراً .

فما بالنا الآن نجد أن ما يحدث في الغالب الأعم من الزيجات، ما هو إلا مجرد استعباد محض، ونجد زواجاً قد بني على حب السيطرة وإشباع الرغبات، دون أي معنى للإنسانية وأي لون من ألوان المودة والرحمة التي أمرنا الله بها.

وما بالنا نسمع اخباراً وأحداثاً تبكي لها القلوب قبل العيون، من ظلمٍ وقسوةٍ تجاه المرأة من زوجها وأهله فقط لأنها لم تكن لهم جارية، ويصل الأمر عند البعض منهن أنها تقدم على الانتحار للتخلص مما هي فيه من ظلمٍ وقهرٍ وعذاب .

كيف صارت أمور الزواج مثل الصيد، يذهب الرجل ليخطب امرأة ويكون معها ومع أهلها غايةً في التحضر والهدوء والرقي والأدب، حتى إذا ما تم الزواج وأحكم الرجل قبضته، تحول كل ذلك إلى وحشية وبربرية وشهوة محضة واستعباد مطلق.

فنرى الزوجة بين يوم وليلة مطالبة بكل أعباء المنزل، وخدمة أهل الزوج أبويه وأخوته كرهاً، وعلى عاتقها أعمال شاقة جداً دون أي مظهرٍ للرحمة ودون أي لون للمشاركة، وبعد تمام ذلك ما هي إلا وسيلة لإشباع رغبة زوجها، بعد أن كان يعدها ويمنيها بحياة طيبة هادئة، متصفة بالتفاهم والمشاركة في السراء والضراء .

أهكذا أمرنا الله في معاملة النساء؟ أهكذا تعاليم الإسلام الموسوم بالسماحة واليسر وحفظ الحقوق؟ أهكذا تكون الإنسانية؟ أهكذا تكون المروءة؟ كلا وألف كلا، اعلم يا أخي أن الله سبحانه ما خلقنا لنستعبد وما خلقنا وحوشاً.

ولكن خلقنا أحراراً كراماً وأوصانا بحسن معاملة النساء، أما بلغك قول الله تعالى "وعاشروهن بالمعروف" ألم تبلغك وصية رسول الله ﷺ، في حجة الوداع "واستوصوا بالنساء خيراً فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله"؟

اعلم يا أخي أن الرجولة والشهامة، ليست في ضرب زوجتك وإهانتها والتَقَوِّي عليها، وإنما هي بحسن العشرة والمعاملة، وأن رسول الله ﷺ وهو أرجل الناس وأكرم الناس، ما أهان زوجاته قط وما أساء معاملتهن قط.

بل كان من هديه المشاركة في أعمال المنزل فكان يكنس بيته ويخصف نعله ويكون في خدمة أهله، ولَستَ أَكرمَ من رسول

الله ﷻ، فعد لرشدك واستدرك ما فاتك واعلم أنه لن ينقص من قدرك شئ، إذا ما أنت أكرمت زوجتك .

# الكلمة وأثرها على الفرد والمجتمع

إن الله سبحانه خلق الإنسان وأكرمه وأعلى شأنه، وأودع فيه الكثير من الخصائص والأسرار، وجعل للإنسان مفتاح رئيسي وهو اللسان الذي يتكلم به وبه يفصح عن مكنون نفسه.

والإنسان بيده أن يجعل هذا المفتاح سبباً لرضا الله واستجلاب الرحمة والبركة، أو سبباً لسخط الله واستجلاباً للشرور والآفات، على الفرد والمجتمع.

ذلك أن الكلمة التي يتكلم بها الإنسان هي في غاية الأهمية والخطورة، فهناك كلامٌ يكون مَدعاةً للخير والود والسلام، وإحلال القيم والمبادئ والأخلاق، وهناك كلامٌ يدعوا للفتن والشرور وإحلال الفساد في المجتمعات.

لذلك كان من عظمة الإسلام ودقة الشريعة في تنظيم الحياة، أن حضت الشريعة الإسلامية على أن يراعي الفرد ما يتكلم به، ويتفكر فيه قبل أن ينطق به، بل دعت إلى التقليل من الكلام إلا

فيما يفيد، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول فيما يرويه عنه أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثَلَاثَ مِرَارٍ: "رَحِمَ اللَّهُ امْرَءًا تَكَلَّمَ فَغَنِمَ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ".

والكلمة لها تأثيرٌ عظيمٌ على الفرد والمجتمع، فربما يكون المرء عاصياً بعيداً عن الله تعالى ثم يسمع واعظاً يتكلم بكلامٍ طيبٍ فيه إخلاص، فيرق له قلبه ويشعر بخطأ المسار الذي ارتضاه لنفسه فيرجع.

وإذا كانت هناك مجادلات ومناظرات فكرية، فإن الكلمة التي يتكلم بها كل طرفٍ هي التي ترجح كفة أحدهم على الآخر، وإن الذي يكون له قدرٌ عند الناس ويحظى بمكانةٍ اجتماعيةٍ أو سياسية، إذا تكلم بكلمة تكون هذه الكلمة بالغة الأثر في نفوس من يتبعه ومن يسمعه، فربما يتسبب في هلاك نفسه وغيره، ورحم الله القائل :"عثرة القدم أسلم من عثرة اللسان".

ومن أفضل ما قرأت عن الصمت وقلة الكلام قول الشاعر:

***الصمتُ للمرءِ حليفُ السلمِ * وشاهدٌ لـه بفضلِ الحكمِ***

***وحارسٌ من زللِ اللسانِ * في القولِ إن عيَّ عن البيانِ***

***إن السكوتَ يعقبُ السلامةْ * فرب قولٍ يورثُ الندامةْ***

وكم سمعنا عن مآسي تحصل بسبب سوء استخدام الكلام وسوء الفهم لمدلول هذا الكلام، فهذا يثور على غيره بسبب كلمة، وهذا يقتل غيره بسبب كلمة، وهذا يقطع رحمه ويخاصم أهله بسبب كلمة.

فلا بد أن يتعلم الناس أن يزنوا كلامهم، وألا ينطقون بما لا يفهمون ولا يرون عاقبته، فما أسهل الكلام وما أصعب نتائجه ورحم الله القائل:

***الصمتُ أولى وما رجلٌ ممنعةٌ * إلا لها بصروفِ الدهرِ تعثيرُ***

***والنقلُ غيَّرَ أنباءً سمعْتُ بها * وآفةُ القولِ تقليلٌ وتكثيرُ***

***والعقلُ زينٌ ولكن فوقَه قَدَرٌ * فما له في ابتغاءِ الرزقِ تأثيرُ***

وصدق الله تعالى أولاً وآخراً إذ يقول:

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ (٢٦).

# إحذر يا مواطن

اعلم أخي المواطن أن من أهم أساسيات الدول المتقدمة والآمنة، هو إعمال العقل حول كل ما يدور على الأسماع، من أمور تخص الدولة والناس، وعدم التصديق بكل ما يقال والتسليم له على أنه قول حقيقي لا مجال للشك أو الطعن فيه.

وإن الدول التي يستمع أفرادها للشائعات دائما ما تعاني من الفوضى والتخبط وعدم الاستقرار، وينشأ عنها وعي مزيف وكاذب يؤدي للتفرق والشتات، وهذا مما لا يرضاه أي مواطن محب لوطنه وأهله.

وأتفق مع الجميع أن البلاد تمر بمرحلة صعبة وشديدة على كثير من المواطنين وأنا منهم، وقد يتولد عند البعض بدون إرادة منهم شئ من الغضب تجاه من يديرون البلاد أو شئ من عدم الثقة، ولكن كل ذلك ليس بالسبب الكافي، للمساهمة في ترويج الأخبار والشائعات المغلوطة بحجة التوعية لعامة الشعب.

فهذا مما لا يرضاه دين ولا يرضاه عقلٌ سليم، والذي يكون عنده حب حقيقي لأهله ووطنه لايرضى لشعبه السوء والتفرقة والتخبط.

ويجب أن يكون المواطن على وعيٍ تام بأن مصدر هذه الشائعات ،هم الخطر الحقيقي على هذه البلاد وهذه الأمة العربية الإسلامية، فالعربي بطبعه سريع التجاوب مع مشاعره وهذه قد تكون نقطة ضعف قاتلة للشعوب، إذا لم نتأنى ونحسن التفكر والتدبير.

والذي يقرأ في السيرة النبوية المطهرة يجد أن جيوش المشركين قد استخدموا سلاح الشائعات في غزوة أحد، وزعموا مقتل سيدنا رسول الله ﷺ ليبثوا اليأس والتردد في نفوس المسلمين، وكادوا ينجحون لولا أن مَنَّ الله على البعض منهم وقالوا موتوا على ما مات عليه فثبتوا جميعاً، والمطالع في التاريخ يجد أنَّ من عوامل سقوط الدول والممالك ترويج الشائعات.

لذلك يجب أن نسعى لترويج الأمل والخير والتفاؤل في النفوس، فهذا من تعاليم دين الإسلام ومما يرضاه عقل المحب لأهله ووطنه، وحسبنا قول نبينا الكريم ﷺ فيما يُروَى عنه: "كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما يسمع"، وصدق الله أولاً وأخيراً إذ يقول: "يا أيها الذين آمنوا إذا جائكم فاسق بنبأٍ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالةٍ فتصبحوا على ما فعلتم نادمين".

# فرَّطوا فندموا

نسمع كثيراً في هذه الأيام أخباراً تثير الحزن والأسى في النفس، عن حوادث عنف وجرائم قتل وسرقة ونهب ونتألم من ذلك، ومما يزيد الألم أن جميع الأطراف في هذه الحوادث هم الشباب وأحداث الأسنان.

وعندما نتحرى أصل المسألة وأسباب المصيبة نتفاجأ بتفاهة الأسباب، ونجد أنه لم يكن هناك أي داعٍ لما آل عليه الوضع، فقد كان من الممكن أن يزول الخلاف ويتم تجنب أي نتائج تؤدي إلى الندم والخسران، ولكنها إرادة الله.

وقد سائت أخلاقيات المجتمع الذي نعيش فيه كثيراً بشكلٍ ملحوظ ومبالغٍ فيه، وأصبحت حاضرات البلد مثل القاهرة وأحياؤها الشعبية مأوى لكل صاحب خلق سئ.

يدفعه الكبر وسوء خلقه إلى ارتكاب الجرائم وممارسة العنف على كل من يحيط به، فصار مصدر شر وسوء ويتجنبه الناس خوفاً حتى من أذى لسانه، فكان ممن قال فيهم رسولنا الكريم ﷺ "إن شر الناس عند الله منزلةً يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره".

وكل ذلك راجع عندي لسببين، ولك أيها القارئ أن تتفق معي فيهما أو تختلف ما دام في إطار الأدب والزوق

**أما السبب الأول:**

فهو راجع إلى الأسرة البسيطة في المجتمع التي تنشئ لنا الأجيال الطيبة والفاسدة، وقديماً كانت الأُسَر تهتم في تربية أفرادها بأساسيات الدين والأخلاق والاحترام لعامة الناس وخاصتهم، فكان أغلب أفراد هذه الأجيال يتسم بحسن الخلق ورجاحة الفكر وكان القليل فقط من يتسم بعكس ذلك.

أما الآن فغالب الأُسَر وللأسف يربون الأفراد على التكبر والتعجرف، ولسان حال الأب والأم يقول: هذا ولدي كيف لابن فلان أن يضربه أو يجلس معه أو يأخذ منه شيئاً.

وإذا ما كانت هناك مشادة بين الأطفال وهو مما يحدث عادةً تتطور فجأةً لتكون بين أولياء الأمور، فأي عقلٍ بعد ذلك يتصور أن تصير هذه الذرية صالحة حسنة الخلق والتربية، إذا ما كان الأبوان ناقصي التربية والخلق، وحسبنا قول رسول الله ﷺ " كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول".

**أما السبب الآخر:**

فيرجع عندي إلى الأعمال السينمائية والدرامية، فقد صارت رسولاً لسوء الخلق وفساد المجتمع بعد ما كانت تهدف إلى العكس من ذلك، فلا نكاد نجد عملاً واحداً يخلوا من الحديث عن البلطجة والتشاؤم والفساد، ويضعه في صورة تجعله هو الوضع

الذي لابد منه للحياة في هذا المجتمع وأن الفساد هو المنتصر دائماً.

وعندما يشاهد الناس كل ما سبق وتتشبع نفوسهم بمثل هذه الآراء ووجهات النظر في هذه الأعمال، ينشأ لنا جيل فاسد ومفسد ينشر الشر والسوء بين الناس.

فقد ابتعدنا عن الأخلاق وعن التقرب إلى الله فصرنا لقمةً سائغة للكآبة والتشاؤم، فلا سبيل إلا أن يتنبه الناس وأن يدركوا عظم مسؤولية التربية ومدى خطورة التفريط فيها، فإنهم إن فرطوا ندموا.

# لماذا الأدب؟

كان الدافع لكتابة هذا المقال عدة حوارات مشتركة، بيني وبين من لهم مع الأدب صحبة قديمة كانت أو حديثة، وكان التساؤل الذي أثير في بادئ الأمر، كيف السبيل للوصول إلى الحكمة والفراسة، ففكرت قليلاً ثم أجبت بما يلي:

جزءٌ كبيرٌ من الحكمة والفراسة يكون هبةً من الله ﷻ لمن أراد من عباده، ولا حيلة ولا اكتساب في ذلك، أما باقي الأجزاء فقد تأتي بالجهد والاكتساب وكيف ذلك؟ أقول لك عزيزي القارئ كيف ذلك.

**الطريق الأول**

هو المداومة على ذكر الله وتلاوة القرآن، وأن يكون الذكر بإخلاص واستحضار لعظمة الله عز وجل في القلب، وتلاوة

القرآن تكون بتدبر واعتبار واستحضار لعظمة الله كذلك في القلب.

فإن كل ذلك له نورٌ يقذفه الله في قلب الذاكر المخلص، كلما ازداد هذا النور تُفتَحُ البصيرة في قلب الذاكر، فيصير يرى بنور الله وينطبق عليه حديث سيدنا رسول الله ﷺ، فيما يُروى عنه: "اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله" ويرى الذاكر من نفسه حكمةً في النظر والتفكير لم يعهدها في نفسه من قبل.

**أما السبيل الثاني**

فهو القراءة في الأدب بكل أشكاله وأنواعه المختلفة، من شعرٍ وروايةٍ وقصصٍ قصيرة ومسرحيات...الخ، وكذلك القراءة في العلوم العقلية مثل المنطق والفلسفة وعلم النفس، والقراءة بشكل عام وإن كنت أُعوِّلُ على الأدب أكثر.

والقراءة بشكلٍ عام تعلم الإنسان حسن التأمل والنظر وقلة الكلام، أما الأدب الذي أعتمد عليه أكثر في هذا الغرض، لأنه يعرض خلجات النفوس وبواطن الناس ويضع أمام ناظريك،

جميع فئات المجتمع ويجعلك تعايش بنفسك جميع المواقف دون أن تمر بها.

فكل ذلك يكون بمثابة اختصار لتجارب عشرات السنين تُضاف إلى وعيك في فترات وجيزة، فتتكون لديك عزيزي القارئ نظرة مستقبلية لما يمكن أن يؤول عليه أي حال، فتكون أقوالك وأفعالك أكثر حكمة وفي موضعها.

إضافةً إلى ذلك، فإن مداومة الإطلاع على الأعمال الأدبية وأخص منها أعمال الكبار مثل العقاد والمنفلوطي، تزرع في القارئ لغةً سليمة وسرداً مُحكَماً، وتورث فيه حكمةً وملكةً للكتابة وقدرةً على النقد السليم البناء.

ولو حرص كل ولي أمر أن يعلم أبناءه القرآن ومكارم الأخلاق، وأن يجعلهم يطالعون في كتب الأدب، لخرج إلينا جيل يتحلى بالإيمان والثقافة والحكمة، ولعل ذلك يكون في قابل الأيام، فقد لمست في بعض شباب المجتمع والناشئة بذرة علمٍ

وثقافة نحتاج إليها، وهم ليسوا قليلين ولعل وعسى أن يكون ما نرجوا ونتمنى.

# المواطنة الحقة والإنتماء الحق

لقد ابتلانا الله في هذه الأيام بأناسٍ يُسَمون أنفسهم بالجماعات الإسلامية، وأفعالهم ومعتقداتهم مخالفة كل الخُلفِ لتعاليم ومعتقدات الإسلام السمح الحنيف.

وخالفوا تعاليم وهدي نبي الإسلام عليه أفضل صلاةٍ وأزكى تسليم، ثم إنهم دعوا للانتماء والوفاء فقط لمؤسساتهم وجماعاتهم التي ينتمون إليها فقط وإن اختلفت أوطانهم وبلدانهم.

وقد تناسوا أن الأرض التي كبر الواحد منهم على خيرها وفي أحضانها لها عليه حق الوفاء، ومتناسين قول رسول الله ﷺ فيما يروى عنه أنه قال: "حب الوطن من الإيمان"

أي أن حب الأرض التي نشأت عليها من صفات المؤمنين، وقديماً كان يُقال: حب الوطن من علامات سلامة الجنان أي: العقل.

وإني لأتعجب من هؤلاء القوم، ألم يقرأوا في سيرة الرسول الكريم ﷺ أنه كان مُحباً لأرضه وأهله بالرغم من إيذائهم؟ وأنه شق عليه أن يفارق هذه الأرض؟

ألم يقرأوا في السيرة النبوية المطهرة كيف أن المهاجرين، كان يشتاقون بشدة لأرض البيت والحرم، وأن شوقهم هذا أدخلهم في حال من الحزن؟ ولكن أدركتهم دعوة رسول الله ﷺ حينما قال: " اللهم حبب إلينا المدينة مثل حبنا لمكة وزيادة"

ولك أن ترى عزيزي القارئ أنه قال: مثل حبنا لمكة أي: أن حبنا لمكة لا يزال قائماً في نفوسنا وأفئدتنا، ولا يمنع حب المدينة من حب مكة.

إنهم على العكس من ذلك منافقون كذابون ما خرجوا عن أهلهم وأوطانهم إلا لغايات دنيوية ألبسوها رداء الإسلام والتدين، وحرفوا في دين الله فلم يختلفوا عن بني إسرائيل، ولم يكتفِ هؤلاء القوم بكل ذلك فحسب، بل إنهم ظاهروا على أوطانهم ودعوا غيرهم للإفساد في أرضهم وخراب أهلهم وكانوا معهم.

فوافقوا في ذلك اليهود أيضا حينما ظاهر بنو قريظة المشركين من مكة وغطفان، على رسول الله ﷺ في يوم الأحزاب، ليدخلوا عليهم المدينة ويجعلوا عاليها سافلها وليكسروا شوكة الإسلام، متجاهلين أن المدينة هي الأرض التي قدم إليها أجدادهم وعاشوا فيها وجاءوا هم من نسلهم، ولكنه طبع اللئيم.

وقد كان خيراً لهم لو أنهم جعلوا أنفسهم في خدمة وإصلاح الوطن في أي ثغرٍ يقفون فيه، سواءاً كانوا معلمين أم أصحاب حرف، سواءاً كانوا سياسيين أم قضاة، كلٌ يجاهد في ثغره لإعلاء شأن الوطن.

ولكنهم على العكس من ذلك يجاهدون لتحقير شأن الوطن متذرعين بأشكال الفساد المنتشرة، ولو كانوا مخلصين لجاهدوا في نشر القيم وإصلاح الخلل بدل أن يهدموا الدولة وما فيها.

وكان خيراً لهم ولنا أن ننشر الخير والإيجابية بين الناس، وأن نرفع الروح المعنوية للمتشائمين، وأن نتكافل اجتماعياً لنساعد

المرضى والمحتاجين، وأن نضرع جميعاً إلى الله أن يصلح حال هذه الأرض وهذا الوطن، وأن يوفق أبناءه لما يكون به خيره وعزته وكرامته.

# كرامة الإنسان

إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان من تراب ونفخ فيه الروح وأكرمه، وأعلى شأنه على سائر مخلوقاته، وزاد من إكرامه بأن جعل الملائكة يسجدون له وهم العابدون المسبحون بحمد الله، وهم الممجدون المقدسون لجلال الله وعظمته.

ثم رضي له أن يكون خليفته في الأرض بأن يعبده حق عبادته، ويستعمر الأرض ويكون مسؤولا عن صلاحها أو فسادها، ثم إن بني الإنسان بعدما ازدادت أعدادهم وانتشروا في الأرض، غلب على الكثير منهم الظلم والفساد والقسوة والغلظة، فلم يراعوا حقاً لمخلوقٍ لا لنباتٍ ولا لحيوان، ولم يعرفوا قيمة الكرامة التي جعلها الله لهم ولم يراعوها لبعضهم البعض حق رعايتها.

فها هو الإنسان يجور على أخيه الإنسان ويطمع في النعمة التي أنعمها الله بها على غيره ويتعامى عن نعم الله وفضله عليه، وتعددت مظاهر الظلم والبغي فقامت الحروب والنزاعات ولا تزال قائمة.

فكان حقاً على الإنسان أن يبصر أفعاله الإجرامية وأن يدرك فداحة ظلمه وبغيه في الأرض، وأنه كريم على الله وشأنه مرتفع فلا يجور على كرامة غيره من بني الإنسان، فإن أعز ما يملكه الإنسان كرامته، وإنه إن فقدها فقد ذاتيته ووجوده وكيانه، ولم يعد هناك أي معنى لحياته.

وكثيرا ما ترد إلى أسماعنا أخباراً وأنباءاً عن حالات انتحار رجال ونساء لأسباب متعددة، منها ما يكون بسبب الأهل والأسرة الذين هم دائموا السخرية من أبنائهم ذكوراً وإناثاً، على أحلامهم وآمالهم، أوعلى قصورٍ في البدن قد ولدوا به ولا ذنب لهم فيه.

وقد يكون الانتحار بسبب تفضيل بعض الأبناء على البعض الآخر، وربما يكون بسبب سخرية الزملاء الدائمة في الدراسة أو العمل كذلك الجيران، فهناك أسباب دائمة للانتحار أساسها هو ذهاب كرامة الواحد منهم وعدم اعتبار أي شأن لها.

ومع ذلك فقد كان من الواجب أن يجعل الإنسان كرامةً لنفسه فلا ينهي حياته بيديه، وأن يدرك أن هناك ربا لهذا الكون يعلم ما يعانيه ولن يتركه حتى ينصره ويأتي بحقه ويقضي في مظلمته.

وعلى الإنسان أن يعلم أن الدنيا ما خلقها الله إلا دار ابتلاء وأحزان وما عليه إلا الرضا والصبر، وأن الله ما وهب هذه الحياة لأحد لكي يزهد فيها ويرغب عنها بل ليحيا ويكون كريما، ولكن قدرة التحمل عند بني الإنسان تتفاوت بحسب القرب من الله أو البعد عنه.

فلا بد أن يُعَلِّمَ الأباءُ أبنائهم والمُعَلمِّينَ تلامذتهم وكل من هو مسؤولٌ عن رعيةٍ رعيته، أن الإنسان كريمٌ خلقه الله كذلك ورضي له ذلك، فلا يُحقِّرن أحداً ما خلقه الله ولا يُذِلُّ أحدٌ ما أعزه الله.

وأن الكلمة التي ينطق المرء بها ساخراً لها تأثير سلبي أو إيجابي على من يتلقاها وقد تقوده إلى البؤس والانتحار، وحسبنا في كل ذلك قول الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن".

# أبناء الإنسان

كان الحافز للكتابة عن ذلك الموضوع في هذا المقال هو تساؤل جدير بالتأمل والتفكير، في كيفية الإحاطة بالقدر الكافي من الحكمة وبعد النظر للإجابة عنه، فما هو ذلك السؤال؟ إنه عن أبناء الإنسان...هل هم الذين من صلبه فقط؟ أم ليسوا بالضرورة أن يكونوا كذلك؟

و إذا ما طرحنا هذا السؤال على العامة من الناس، فكيف ستكون إجابة الواحد منهم وكيف سيكون رأيه؟ أعتقد أنه سيكون مثل: "بالطبع أبناء الإنسان هم الذين من صلبه، أو هم الذين يتبناهم ويقوم على معاشهم"

وهذا بالمناسبة رأيٌ صائب، إلا أنني أرى الأمر أعم وأشمل من ذلك، فقد تشمل كلمة البنوة الكثير من المعاني، والكثير من الأفراد.

فالذي يشتغل على سبيل المثال بالكتابة والتأليف في الكتب، بشتى أنواعها وشتى مجالاتها من علومٍ وفنونٍ وآدابٍ وأفكار، تكون هذه المؤلفات بمثابة الأبناء لمن قام بتأليفها، ذلك أن حاله معها مثل حال الآباء مع أبنائهم.

فالمؤلِفُ يُرهِقُ نفسه في القراءة وجمع المواد العلمية لما يقوم بتأليفه ويسهر على ذلك، ويقوم بالمراجعة اللغوية الدقيقة من أجل أن يخرج كتابه في أبهى طلعة وأزهى صورة

وهي في نفس قيمة الأبناء من الصلب عنده، فإذا ما انتهى أجله في هذه الحياة تكون هذه الكتب التي تركها من خلفه، ذكراً طيباً يقوم بتخليد اسمه من بعده.

ويعلم ذلك القدر في النفس جيداً كل من هو مشغولٌ بالقراءة والمطالعة، فكتبه التي يطالع فيها هي عنده في نفس قيمة الولد من الصلب.

وإن الذي يكون صاحب علمٍ وفكر، ويقومُ بمجالسٍ وندواتٍ شأنه فيها أنه يتصدر للمحاضرة والدروس الفكرية والأدبية،

ويحضر في تلك المجالس مريدي العلم والمعرفة، يكون هؤلاء جميعاً بمثابة الأبناء له.

فقد تبناهم علمياً وفكرياً وحرص على أن يكونوا أصحاب عقولٍ مفكرة، ناضجة ومبدعة، وأصحاب أخلاقٍ طيبة وآراءٍ ثاقبة، فيكونون بذلك ناشرين للنفع والمعرفة وأسباباً للنهضة والتقدم في بلدانهم.

فإذا ما تم كل ذلك وشهد بعض الخير الذي هم فيه، كان بهم سعيداً ومفتخراً، فهم صنعة يديه ونتاج ما ألقاه فيهم من علمٍ وأدب، وإني لأظن أن مثل هؤلاء الأبناء للإنسان قد يكونون خيراً من أبنائه من صلبه، وأكثر فائدةً وأرجى نفعاً.

فإذا استطاع الإنسان أن يربي أبنائه الذين هم من صلبه ليكونوا على مثل تلك الشاكلة، علماً وفكراً وأدباً فقد فاز بخيرٍ عظيم.

# تيارات جديدة

إنها سنة الله في هذا الكون البديع وهذا الخلق الكثير، أن يكون هناك تطور وتجدد في كل أشكال وأطوار الحياة والإنسانية، فذلك العقل البشري البديع الخلق الذي ركبه الله في الإنسان

يفكر ويخطط ويأتي بالجديد بما يظن أنه فيه الخير والنفع للإنسانية جمعاء، وقد يخطئ في سبيله إلى هذا المقصود ولكن لابد أن يصيب، ولابد دوماً من التطور والترقي.

فبعد أن كان الإنسان يكتب على الأحجار والعظام وأوراق الشجر، تطور إلى صناعة الورق والمداد الذي يُكتَبُ به الكلام، وتطورت هذه الصناعة إلى أن وُجِدت المطبعات

حتى تلك تطورت بشكل بديع حتى صارت أيسر وأجود، وقس على ذلك كل الصناعات في جميع مجالات الحياة.

وبما أن الكلام يُذكَرُ بالكلام، فمن الجدير بالذكر أن نتحدث عن القراءة والكتابة في العالم الشرقي والغربي، فرواد القراءة والتأليف كانوا وما زالوا إلى هذا اليوم

يقرأون الكتب المطبوعة ويكتبون كتباً لتتم طباعتها فيقرأها جمهور آخر، ولكن في هذا الوقت الحالي، يوجد تيار جديد أثبت أن له قدره وقيمته بتزايد أعداد المنتمين له والمقبلين عليه.

وهذا التيار يُسمى بـ: "الكتب الإليكترونية" والكتب الإليكترونية مقسمة لقسمين

**الأول:**

هو قسم الكتب التي كانت ورقية وتم تصويرها بطريقة احترافية أو متوسطة، وترتيبها وجعلها متاحة إليكترونياً في صيغة pdf للقارئ المهتم.

**أما القسم الآخر هو:**

التأليف من البداية على تلك الصورة، فيقوم الكاتب بكتابة ما يريده ويتم تنسيق هذا الكتاب وتصميم الغلاف له وإتاحته إليكترونياً للقراء.

ويوجد الكثير كما أسلفت من المنتمين لهذا التيار والمقبلين عليه سواءاً كانوا قرائاً أم كتاباً، فهذه النوعية من الكتب لديها مزايا جعلت لها هذا القدر الكبير من الشعبية والرضا، ذلك أنها توفر على الكاتب عناء البحث عن الكتب في المكتبات، وتوفر عليه ثمن النقود التي يدفعها في تلك الكتب.

وبذلك استطاعت التغلب على أزمة نفسية كبيرة في قلوب محبي القراءة والتأليف، ذلك أن محب القراءة يجد الكتاب الذي يلفت نظره أو يبحث عنه، ويمنعه عن شراءه إما غلاء الثمن، أو توفير النقود لما هو أولى من الاحتياجات المعيشية، فيحزن على ذلك حزناً كبيرا.

أما الذي يقوم بالتأليف فالكثير منهم وهم والحمد لله شباب، لديهم الموهبة في التأليف والكتابة في الأعمال الأدبية، وكذلك البحثية والفكرية

إلا أن غالب دور النشر يضعون أمامهم الكثير من الصعوبات والعراقيل، بحجة أنهم إما كتاب غير ذائعي الصيت، وإما أن تكاليف الطباعة والنشر باهظة ولا يستطيعها هؤلاء المؤلفون.

فمن أراد أن يطبع وينشر كتابه عليه أن يُعِدَّ لذلك مبلغاً مالياً ما بين الـ٣٠٠٠ آلاف جنيه، إلى الـ٥٠٠٠ آلاف جنيه على أقل تقدير، ومثل هذا المبلغ الأولى به أمور الإنسان المعيشية والحياتية، إلا أن النشر الإليكتروني للكتب قضى على هذه المشكلة.

ذلك أن جميع الخدمات المتعلقة بالكتب من تنسيق وتدقيق فني ولغوي عليها، وتصميم الغلاف، صارت مجانية لا تكلف

الكاتب شياً، وتكون متاحة أمام القارئ لا تكلفه أي عناء، في البحث أو دفع الثمن، وذلك أدعى لانتشارها.

والجدير بالذكر أن هناك تياراً ثالثاً في هذا المجال لا يستهان به كذلك، وهو: **"الكتاب الصوتي"** فقد انتشر أيضاً هذا النوع من الكتب ولاقى الكثير من القبول عند القراء.

فمن مميزاته أنه يريح العين من الإرهاق الناشئ عن كثرة النظر في الكتب، وأنه يضع المستمع أمام لذة لم يكن يدركها من قبل وهي لذة الاستماع.

فمنها أنها تكون أقل ملالاً فيستطيع المستمع أن يسمع العديد من الكتب في وقتٍ وجيز، ومنها أنها تربي عند المستمع فضيلة الإصغاء وملكة النقد والتحليل، فلا بد من الاستفادة من التطورات في حياة الإنسان للمزيد من التقدم والرقي.

# تخلفنا عن ركب الأمم

تعودنا دائماً أن نرى التقدم المستمر للبلاد الأجنبية، والذي يقابله عندنا المزيد من التخلف والتقهقر، وكثيراً ما نسمع الإشادات الموجهة لإنجازات هذه البلاد في كل المجالات

وكيف أن الوضع هناك موصوفٌ بالعدل وإتاحة الفرص وإعطائها لمن يستحقها، حتى وإن كان من غير بلادهم بدون غضاضةٍ أو حساسيةٍ تجاهه.

والواقع الأليم الذي نراه في بلادنا أن الكثير من الشباب لديهم الموهبة والعبقرية المطلوبة في مختلف المجالات، الرياضية والفكرية والأدبية والعلمية والتكنولوجية.

لكن هل يتم تقديم الدعم اللازم والكافي لهؤلاء من أجل أن تتقدم بهم البلاد وتتطور؟ الإجابة وللأسف أنه لا يتم تقديم أي دعمٍ يُذكر لهم.

وبعد ذلك ما الذي يحدث؟ الذي يحدث أن هؤلاء الذين لديهم الموهبة يصيبهم اليأس والإحباط، ويكبر في نفوسهم ويفقدون الأمل في خير هذه البلد، وإذا وصلوا لهذه القناعة في أنفسهم، إما أن يتخلوا عن كل شئ ويؤثروا الدعة والخمول المعنوي والعلمي.

وإما أن يستنهضوا عزائمهم وأن يشقوا طريقهم ولكن في بلدٍ آخر، حيث يجد الواحد منهم من يقدر موهبته وعبقريته في مجاله، ويقدم له كل الدعم اللازم لتتقدم هذه البلد عن طريق هذه العبقرية، ويستمر التأخر والتقهقر في بلادنا.

وما كان ليحدث كل ذلك إلا لأننا أخذتنا الأنانية والفساد، وآثرنا أن نقدم المصالح الشخصية على المصلحة الوطنية، التي تتقدم بها بلادنا.

وأكثر المظاهر الإفسادية شيوعاً في بلادنا، والتي أَعُدُّهَا السبب الرئيس في تخلفنا عن ركب الأمم المتقدمة، هو المرض

الإجتماعي المُسمَّى عندنا بـ **الواسطة**، والذي تسلل لكل أركان وهيئات الدولة لا أستثني منها أي ركن وأي هيئة.

وقد تسبب هذا المرض القبيح بانتشار الإداريين والقياديين في أنظمة الدولة، من أعلاها إلى أسفلها والذين هم غير أكْفاء، وغير مؤهلين لتولي هذه المناصب، مما أدى إلى فسادٍ كبير في كافة القطاعات، إنه مرض متواجد حتى في أقل المعاملات التي تكون في القرى الريفية وأمثالها.

وما ذلك إلا لأن رب العمل آثر المصلحة الشخصية التي ستعود عليه، من جراء الخدمة التي سيؤديها لأحد المواطنين، على حساب باقي المواطنين ثم لا يعبأ بذلك ولا يهتم.

فعلى الهيئات الرقابية في بلادنا أن تُكَثِّف مجهوداتها، وأن يحيطوا علماً بمظاهر الفساد هذه وأن يبدأوا بتطهير أنفسهم، ثم باقي المؤسسات الموضوعة تحت الرقابة الشخصية لهم، فذلك من دواعي المسؤولية التي كُلِّفُوا بها وتحملوها.

وعلى كل من هو مسؤول أن يتقي الله في مجال عمله وتخصصه، وأن لايظلم نفسه بأن يكون سبباً للفساد، وأن لا يظلم غيره بأن يعرضهم للفساد، وأن يعلم أنه الله مطلعٌ عليه وناظرٌ إلى أعماله وأنه سيسأله.

وعلينا جميعاً أن نحاول بكل ما نستطيع أن نحارب هذه الظاهرة وهذا المرض، فإن لم نفعل زاد التخلف والتراجع وقلت الوطنية والإنتماء وزدنا تخلفاً عن عظائم الأمم.

# المعلمون الصغار

إن من ثمرات الحكمة التي تؤتي أكلها عند طالبها أنه يتعلم الجديد في كل يوم، ويستشف الحكمة والخير من الأشياء التي لا يُتَصوَّرُ أن يتعلم المرء منها، فالذي يكون لديه قلبٌ متدبر ينظر دائماً إلى هذا الكون ويستلهم منه الحكمة والمعرفة يتعلم الكثير.

ولست أعني بالكون السماء والجبال والأنهار فقط، ولكن أقصد كل ما في الكون من مخلوقات فالإنسان يمكن أن يتعلم من حشرة، وإليك مثالاً على ذلك **النملة**.

إنك إذا تدبرت في حياتها تتعلم من النمل الإخلاص وحب الأهل والوطن، أليست النملة هي التي أشفقت على أهلها وحذرتهم من أقدام جيش نبي الله سليمان، عليه وعلى نبينا أطيب صلاة وأزكى تسليم، وما دفعها إلى ذلك إلا حب الأهل والوطن.

إنك تتعلم من النمل كذلك حب النظام وحب الإجتهاد والعمل والسعي على الرزق، والتوكل على الرازق وعدم اليأس من الصعوبات.

ولك أن تجرب ذلك الأمر وتختبر عزيمة النمل بأن تضع في طريقها وهي تحمل الغذاء المعوقات، وسترى بنفسك كيف تحاول بعزمٍ أن تجتازها وتصر على تخطيها، وإن كُنتُ لا أحب أن أفعل ذلك لما في ذلك من قسوة وغلظة لا أتحملها.

وتستطيع إذا تأملت في حياة النحل أن تتعلم منهم صفةً من أهم صفات القيادة، وهي الحرص على المصلحة العامة لكافة الرعية، ففي موسم التخصيب تجد ملكة النحل تقود الأسراب من الذكور، وتطير بهم لمسافاتٍ طويلة

فيتساقط من التعب الواحد تلو الآخر، حتى إذا تساقطوا جميعاً ولم يبقَ إلا آخرهم، يكون هو الخيار الأمثل لإنتاج ذرية جديدة تتمتع بالقوة والحيوية والصحة الكاملة.

لك أيضاً أن تتأمل في الماء فإنك إن فعلت، تتعلم منه هدوء الطبع ورزانة النفس والشخصية، وإذا رأيت الماء في الأنهار وهي يسير وأمامه الصخور

فتجده ينساب من فوقها وتحتها ومن حواليها، وبعد ذلك لا تلبث هذه الصخور أن تُنحَت وتتفتت، فإنك تتعلم من ذلك الصبر وإيجاد الحلول البديلة لتجاوز العقبات التي تمر بها في حياتك.

وإذا تأملت في الماء وهو يأخذ الشكل للإناء الذي يوضع فيه، تتعلم منه ضرورة التكيف من البيئة والمكان الذي تتواجد فيه، وأن لا يشكل الاختلاف عقبة كبيرة أمامك، فإنك ما دمت صابراً مثابراً لا تلبث هذه العقبات حتى تزول.

وهناك نوع خاص من المعلمين الصغار الذين يستطيع المرء أن يتعلم منهم الكثير، وهم كما تشير تسميتهم الأطفال الصغار، فهؤلاء الكائنات التي ما زالت مشبعة بالفطرة السوية التي خلق الله الناس عليها، يُعَلِّمونَ الناس ألوان الفضائل والخير.

فإنك بمعاملتك مع الأطفال تتعلم منهم الصدق في القول والصدق في الوعود، كما تتعلم منهم اليقين الكامل في قدرة الله وأنه مطلع عليم، يسمع الشكوى ويسمع المناجاة ويجيب من دعاه.

إنك تتعلم من الأطفال حسن الإيمان بالله والتعظيم الكامل لشعائر الله، فمن طريف ما يُذكر كمثال في هذا الشأن، أنك تتذكر في طفولتك أيام لعبك مع أصدقائك

وإذا ما أغاظك أحدهم ثم قال: "أنا في حماية ربنا" يكبُرُ في نفسك ويصعُبُ عليك جداً أن تمسه بسوء، تعظيما لله وإجلالاً لكنفه ورعايته.

وكيف أنك إن وقع منك المصحف تهرول لرفعه من على الأرض، ثم تضعه فوق رأسك بعدما تقبله مستغفراً لله على هذا الذنب الذي كبر في نفسك، إنهم ولا عجب أحباب الله، ولله في خلقه آياتٌ ودروس.

# عام 2020

إنه حقاً عام ٢٠٢٠، تقدم بنا الزمان وقد وصلنا إلى ذلك العام الذي كان يشاع في عقولنا ونحن أطفالٌ صغار، أنه عام التكنولوجيا المتطورة والسيارات الطائرة

عام الروبوتات وصور الهولوجرام المجسمة، يا له من تصور جميل كنا نأمل أن نراه ونعايشه، أما الحقيقة والواقع أن الزمن لم يتغير كثيراً.

وأن السيارات ما تزال تسير على الأرض والروبوتات نسمع عنها أخباراً من هنا وهناك مثل الروبوت صوفيا، أما صور الهولوجرام فهي الشئ المتحقق فعلا ولكن ليس في أرضنا ولا في بلادنا، ولكن في بلاد بلغت من التطور التكنولوجي والعلمي مبلغاً حقاً يحسدون عليه.

والناس في استقبال بداية العام على أشكالٍ وألوان، فمنهم المتفائل بأن القادم خير بإذن الله، وأن الذي مضى كان فيه الخير وإن كنا لا نراه.

ومنهم المتشائم جداً الذي يرى أن ما مضى كان شراً وبؤساً وأحزاناً، ولن يكون ما هو قادم خيراً مما قد مضى، وهذا الصنف من الناس يستحق الشفقة والمساعدة.

وهناك أناس بين ذلك وذاك يرون أن ما مضى كان فيه الخير والشقاء، وأن ما هو قادمٌ فيه خير إن شاء الله، ونحن وقد دخل علينا عامٌ جديد فالأولى أن نتفائل بالخير واليمن والبركة، وأن نعمل على نشر الإيجابية بين الناس.

وإن كان أحد الناس لا يتوقع الخير ويغلب عليه سوء الظن بما هو قادم، فيجب على أقل تقدير أن يجعل ذلك الإعتقاد وذلك الظن بينه وبين نفسه، ولا يؤذي به غيره.

ولست أعيب أبداً على الناس، أن يحتفلوا وأن يبتهجوا بدخول عام جديد وزمن جديد، وصحفة جديدة من دفاتر حياتهم ليبدأوا

في كتابتها، فإن نشر السعادة والخير بما لا يخالف الأخلاق والأعراف، ليس فيه ما يُكرهُ أو يُعاب.

والعجب أن يخرج إلينا الكثير ممن تدينوا في ظاهرهم والله أعلم ببواطنهم، من أجل أن يضيقوا على الناس أمور معيشتهم، وليرموا كل مظهر من مظاهر البهجة عند الناس، بالبدعة والمخالفة للدين.

وليتهموا كذلك من يهنئون جيرانهم وأصدقائهم ومعارفهم في أعيادهم بالمخالفة للدين الإسلامي، لمجرد أنهم على دين آخر، متناسين أن الكل إنسان والكل إخوان في وطن واحد وأرضٍ واحدة.

والحق أن الإسلام لم يعب على المهنئين تهنئتهم، فالله تعالى يقول: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين أو يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم والله يحب

المقسطين" وإن من البر أن نهنئهم بما يحتفلون به، بما لا يخالف تعاليم الإسلام الصحيحة.

فالعام الجديد ما هو إلا احتفال بمولد نبي الله عيسى عليه وعلى نبينا أفضل صلاة وأزكى تسليم، كما نحتفل نحن بميلاد خير الخلق سيدنا محمد ﷺ في ربيع النور والخير، أما مظاهر الاحتفال التي يقوم بها بعض المسلمون بما يخالف الأخلاق والأعراف، فنحن نعيب عليهم هذه المخالفة ولا نعيب عليهم التهنئة.

ولا شك أن كل مواطن صالح لديه عقل وتفكير سليمين، يدرك أن مشاركة الأخوة المسيحيين من أهم أساسيات المواطنة، التي تكون سبباً في السلام العام بين المواطنين، وأن المحاولات التي يقوم المتدينين ظاهرياً لسوء فهمهم وإدراكهم، تُعدُّ من المعاول التي تهدم هذه الأسس.

ولقد قرأنا في سيرة الرسول الكريم ﷺ، أنه كان يبر غير المسلمين ويتعاون معهم لخير ونفع المدينة، وليتم تأسيس الدولة على روابط سليمة بين أفرادها.

ولقد قرأنا كذلك كيف تكاتف المسلمون والمسيحيون في الثورات ضد المستعمرين، وما كان ذلك إلا لمحبة الوطن الراسخة في قلوب الجميع، فكل عام والوطن بخير.

# الحرب العالمية!!

**الحرب العالمية**

ذلك هو الشبح المخيف الذي انتشر وذاع صيته في الآونة الأخير، فدولة إيران الإسلامية والولايات المتحدة الأمريكية، على وشك الدخول في نزاع واشتباك مسلح، وإن كان في الوقت الحالي بتبادل السباب والتحريض على القتل.

ونجد كذلك الحرب الإقتصادية الشرسة بين الولايات المتحدة والصين، ولكن الذي يعني الرأي العام العربي، هو شبح الحرب التي تلوح في الأراضي الليبية، بينما الأطراف المتحاربة هي دولة تركيا التي تدعم الجيش الليبي بقيادة السراج، والدولة المصرية التي تدعم الجيش الليبي بقيادة خليفة حفتر.

ثم تعالت الاختلافات في وجهات النظر والتأييد والمعارضة بين فئات الشعب المصري، فمنهم الذي يدعم التدخل التركي في

الشؤون العربية، ودافعه إلى ذلك التأثر العاطفي والتأييد للدولة العثمانية القديمة

والتي يراها متمثلة في شخص الرئيس التركي أردوغان، ويدين أي دعوى للإعتراض عليه، بل ويسخر من الجيش والدولة المصرية.

بينما الفريق الآخر هو من يدين بشدة التحرك العسكري، التي تعتزم الدولة التركية القيام به في الأراضي العربية الليبية، متجاهلة بذلك كل القوانين والأعراف الدولية، ومهددة به الأمن القومي لكل من إيطاليا وكريت ومصر والجزائر، ممن لهم حدود مع الدولة الليبية.

وإذا أردت أن أحكم على الموقف برأيي الشخصي فلن أستطيع، لأنني أميل لبغض تركيا بسبب المعاملة القاسية التي عاملوا بها الشعب المصري، حينما كنا تحت الحكم العثماني.

ولكن من منظور آخر فإنه لا ينبغي لمثل هاتين الدولتين أعني المصرية والتركية، أن يتحاربوا ويتجادلوا والمصاب الوحيد هو الشعب الليبي، وأهل ليبيا هم الأقدر على حل مشاكلهم وحسم خلافاتهم.

وإنني أقدر جهود الرئيس السيسي حينما منع التدخل المصري في الشأن الليبي، واكتفى بتقديم المساعدات التدريبية العسكرية، للقيادات العسكرية في الجيش الليبي، والتي تلقوها على أرض مصر.

وما كان ينبغي لدولتين مسلمتين أن يكون بينهما مثل ذلك الخلاف، وعلى كُلٍّ فالخلاف لا يلبث أن ينتهي، لكن أن يتطور الأمر للاشتباك والقتال المسلح، فهذا ما لا يرضاه كل صاحب عقل سليم ومحب لوطنه.

ولن يكون هناك من مستفيد من مثل هذه الحرب إذا الفائز فيها هو الخاسر، ولن ينتفع بذلك إلا من يريد الخراب والتخلف للدول الشرقية الإسلامية، وإني لآسف على أبناء وطني الذين

يؤيدون أو يعارضون بمثل هذه الوحشية وهذا التعصب، مما يسبب الخلاف والشقاق بين أبناء الوطن الواحد.

وكان الأولى أن يخرج الجميع داعيا للسلام والوفاق، وعدم التحريض على النزاعات والخلافات، فالشئون السياسية التي تُدار بها الدول أكبر بكثير مما يتصوره عقل المؤيدين والمعارضين وأكثر تعقيدا مما يظنون.

فالأولى أن يتركوا التدخل في مثل هذه الشؤون، فكل ولي أمر أدرى بخير بلده ونفعه، ونرجوا أن يجنبنا الله الفتن والشرور ويحفظ الوطن.

# ما أحوجنا إلى السيد

نعاني كثيرا في هذه الأيام، من الفوضى وسوء الأدب الذي قد شاع بين الشباب والصغار، وأظنه نال من بعض البالغين الكبار، وصارت أخلاق الناس شبه منعدمة، ولم يبقَ إلا القليل ممن يتمسكون بالأخلاق والفضائل.

ولا شك أن تمكين الأخلاق في النفوس هو الأساس لإحلال النظام في المجتمعات، وعدم التمسك بالأخلاق هو الأساس لشيوع الفوضى والفساد، فلا بد لنا من تسييد الأخلاق على النفوس البشرية، حتى ينصلح حالها.

وإذا أردنا أن نحد من الفوضى الناشئة عن الغضب وسوء الفهم، فعلينا بسيد الأخلاق الذي حدثنا عنه رسول الله، ﷺ فيما يروى عنه: "الحِلمُ سيد الأخلاق".

وإذا سلطنا الضوء على بعض الكوارث المجتمعية، نجد أن أساسها هو غياب الحلم، الذي يدفع الإنسان إلى تجنب سفاهة وجهل بعض الناس، ولنا في المعلم الأعظم ﷺ القدوة في ذلك.

ألم يرد إلينا خبر الواقعة التي جهل فيها أحد الأعراب، وأساء الأدب مع رسول ﷺ حينما خاطبه قائلاً: "يا محمد، أعطني من المال فإنه ليس بمالك ولا مال أبيك"

وإذا وضع أحدنا نفسه مكان رسول الله ﷺ، لا شك أنه سيغضب غضباً شديداً ويود أن يؤدب ذلك الأعرابي، الذي لا يعرف قدر الذي يخاطبه بهذه الفظاظة، ولكن رسول الله ﷺ، بأدبه الجم ومكارم أخلاقه، فعل خلاف ذلك وأعطاه ما يريد، حتى إنه نهى الصحابة الذين أرادوا أن يؤدبوا الأعرابي.

وبالطبع ليس منا أحد كسيدنا رسول الله ﷺ، ولكن لنا في حضرته القدوة وقديما قالوا: "تشبه بالرجال إن لم تكن مثلهم إن التشبه بالرجال فلاح".

والأخلاق ليست بهذه السهولة التي يتصورها البعض، بحيث أنه يظن أنها متمكنة من نفسه، فنفس الإنسان شديدة التمرد والعناد، ومحاولة ترويضها وتهذيبها من الصعوبة بمكان، لذلك يجب على الإنسان أن يجاهد مع نفسه، ويلزمها الأخلاق حتى تلتزم بها.

وقد قال رسول الله ﷺ "إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم" والمعنى أن الأخلاق لا تأتي للإنسان ولا يتحلى بها، إلا بعد أن يجاهد في تمثلها، وتطبيقها في المواقف العملية التي يمر بها في حياته، والذي يكون صادقاً في ذلك لا بد أن يوفقه الله ويعينه على نفسه.

فما أشد حاجتنا إلى ذلك السيد، الذي يتمثل شخصه في مكارم الأخلاق، من أجل أن نضبط نفوسنا وردود أفعالنا، في المواقف المختلفة التي يتعرض لها الإنسان في الحياة.

وإذا أعطى الإنسان هذه المواقف قدراً يزيد عن قدرها، تتحول إلى مصائب وكوارث لا قبل للإنسان بها، وتستدعي الندم فيما بعد حينما لا ينفع الندم.

وإنا إن أردنا أن نكون أمةً راقيةً متحضرةً، فعلينا أن ندرب أنفسنا على الأخلاق، وذلك بتطبيقها في حياتنا اليومية والحث عليها في كل وقت، من الآباء لأبنائهم ومن المعلمين لتلامذتهم، ومن كل ولي أمر إلى من يعول.

# تعلموا من البدو

رحم الله أمير الشعراء أحمد شوقي، كم كان صادقاً حكيماً بعيد النظر حينما قال هذا البيت:

***إنما الأمم الأخلاق ما بقيت * فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا***

فقد بين أن معيار التفاضل الأكبر بين أمة وأخرى، هو الأخلاق التي تحيا بها هذه الأمة، فإن كانت إحدى الأمم خالية من أي لون من الأخلاق، فلا اعتبار لها في النظر ولا كرامة لها عند باقي الأمم.

والذي يجبر الإنسانية على احترام فرد أو أمة برغم الاختلاف الديني أو العرقي هو الأخلاق، وللأسف بالرغم من هذا التقدم العلمي والتكنولوجي الهائل الذي وصلنا إليه، والفكر والمنطق الذي حصلناه على مدار مئات وآلاف السنين، لم يتم التمسك بالأخلاق والآداب العامة.

بل زاد التفلت منها بدعوى الحرية الشخصية، وشاع الفساد الأخلاقي في غالب الأمم والشعوب، بل ويتم مهاجمة المتمسكين بالأخلاق ورميهم بالجمود، أو في أفضل الأحوال يتم نعتهم بالعالقين في أشباح الماضي.

ومن أسوأ الآفات التي أصابت أخلاق الأمم، هي التفرقة والعنصرية، مثل التي كان هتلر الزعيم النازي يدعوا إليها، ويزعم أن الجنس الآري الأبيض، هو الجنس المسيطر ومن دونه مجرد عالة عليه، ولا يصلحون إلا عبيداً وخدماً.

ومثل تلك المزاعم الدعاوى التي تولتها الولايات المتحدة الأمريكية قديماً، حينما كانت تحت الحكم البريطاني وقبيل استقلالهم عنها، بأنهم الأحق بسكنى القارة الأمريكية، ومن ثم شنوا الحروب والمجازر الدموية الشنيعة، تجاه السكان الأصليين وهم الهنود الحمر والذين هم قبائل بدوية.

وقد ورد في ترجمة بنجامين فرانكلين للأستاذ العقاد، أنه حكى عنهم أنهم كانوا أهل كرمٍ وأخلاقٍ وأهل نظامٍ وتقدير للجنس البشري، على عكس الأمم المتحدة الفوضويين والهمج.

وكانوا يكرمون من يأتي إليهم ويقدمون له المبيت والطعام ولا يطلبون مقابل ذلك، وإذا ما نزل أحدهم عند الأمريكان يفعلون العكس من ذلك، فلا يضيفوه إلا بمقابل مادي وينهالون عليه بالسباب والشتائم، وبعد ذلك يرمونهم بالهمجية فبالله أي الفريقين أحق بذلك الوصف.

وقد وجدنا مثل هذه الأخلاق وسمعنا بها عند العرب البدو، وكم وردت إلينا الأخبار التي تروي مكارم أخلاقهم، وسعة أفقهم ودماثة أخلاقهم، وكيف أن الضيف له حق المبيت والطعام والشراب، بدون أن تُعرف حاجته وما هي نشأته، وإذا ما استجار بهم أحد أجاروه ولو على دمائهم وأموالهم، ثم بعد يرمون العرب بالجمود والتخلف.

إن أحق الناس بهذا الوصف هم الذين نسوا أنهم بشر، والبشر يحتاج بعضهم إلى البعض، وأن الإنسانية لا تعني إلا أن أنفع غيري بدون أن أنتظر منه المقابل.

وعلى جميع الإنسانية أن تتعلم من أخلاق البدو، فالبدو يوقرون الكبير، ولا يتكلمون ولا يتصرفون في حضوره وبدون إذنه، ومن آداب اللياقة عندهم أنهم لا يقاطعون من يحدثهم، والبدو يكرمون من يأتي إليهم ضيفاً أو مستجيراً، ولا يطلبون لخدماتهم المقابل، فيا من تدَّعون الحضارة والرقي، تعلموها من البدو.

# التعليم في أرض الكنانة

إن هذه الأرض المباركة وهذا الوطن الميمون، لا بد أن يكون دائما الرائد والقدوة والمعلم للإنسانية، وإن من حق أرض الكنانة أن يسعى أبناؤها لخيرها ونهضتها والصالح العام لها، وإن خير ما تنهض به الأمم هو العلم.

ولست بحاجة إلى أن أتكلم عن فضل العلم والتعلم، وأنه أكبر الأعمدة التي تستند عليها النهضة المرجوة للوطن، لأن الكلام الذي يمكن أن يُقال في هذا الشأن، صار من المعارف البديهية المترسخة في أذهان أفراد الشعب.

وإن غالب الأفراد في هذا الوطن والحمد لله على دراية بمدى أهمية التعليم لأبناء الوطن الذكور منهم والإناث، ولا أعتقد أنه يوجد من يختلف في أن التعليم في أرض الكنانة، أحواله لا تسر ولا يرضى بها أحد.

ودائما ما نسمع الشكاوى المتكررة من الطلاب تجاه معلميهم ومناهج تعليمهم، كذلك من المعلمين تجاه الطلاب وفساد أخلاقهم وسوء أدبهم ،الذي يحول بينهم وبين التحصيل العلمي المرجوا لهم، ليكونوا رواد إصلاح وتنمية.

وللأسف الشديد كِلا الطرفين يملك أخطاءاً وعيوباً، تحول دون إتمام العملية التعليمية بشكلٍ سليمٍ ومنضبط، ومما يدعوا للأسف أن غالب بني الإنسان وليس غالب بني وطني فقط، يميلون للتهرب من مسؤولية وتبعات أفعالهم وقناعاتهم، وذلك ما وقعت فيه المنظومة التعليمية مثل غيرها من المنظومات.

وهو السبب الرئيس في أن المعلمين يُلقون بالتَبِعَةِ على الطلاب وأولياء أمورهم، وأولياء الأمور يلقون بالتَبِعَةِ على المعلمين وتقصيرهم، والكل يلقي بالتَبِعَةِ على الأحوال والأيام والزمان الذي نعيش فيه، وهذا من الجُبنِ بمكان.

إن أول خطوة للإصلاح دوماً تكون بالاعتراف بالخطأ وتحمل مسؤوليته، ومن ثَمَّ معرفة أسباب الخطأ والتقصير وتلافيها، فبالنسبة للدولة عليها أن تعطي للمعلم قدره ومكانته التي يستحقها، حتى لا يكون مثاراً للسخرية وتكون مهنة التعليم أحط المهن وأخسها في عيون الناس، وما أصدق أحمد شوقي حينما قال:

***" أرأيت أشرف أو أجل من الذي * يبني وينشئ أنفساً وعقولا "***

ثم على المعلمين أن يدركوا عِظَم المسؤولية التي تحملوها، وخطورة المقام الذي أقامهم الله فيه، فهم صاروا يتحكمون بقناعات وآراء أجيال يمكن أن تكون سبب خير هذا الوطن أو شره وفساده.

فعليهم أن يعطوا هذا المقام حقه فإنهم إن فعلوا سعدوا بنجاح ما تصنعه أيديهم، وسعدوا بما يلقونه من جزاء عند الله ﷻ وعند الناس، ولا يضيع العرف عند الله والناس.

وأخيراً فعلى أولياء الأمور أن يدركوا ويعلموا، أن الأبناء والبنات أمانة قد جعلها الله في أيديهم وهم مسؤولون عن صلاحهم وفسادهم.

وسيسئلون عما إن كانوا على قدر المسؤولية وإن كانوا قد بينوا لأبنائهم طرق الضلال وطرق الرشاد، وإن كانوا حثوهم على الخير ولم يقصروا معهم بما يقدرون عليه، أو إن كانوا أهملوهم وتركوهم.

فليعلم الآباء أن الأبناء إن وقروا معلميهم وقدروهم وأنزلوهم منازلهم، فإن ذلك أحرى أن يوقروا آبائهم ويبروهم، ولم تكن لتكثر شكاوى عقوق الأبناء لآبائهم

وأنهم إن نجحوا في إرشاد أبنائهم إلى مكارم الأخلاق والسعي لخير الأرض والوطن، فإن ذلك مما يترك لهم الأثر الطيب والذكر الحسن بين الناس، وعند الله.

# من لم يوقر كبيرنا

إن من مكارم الأخلاق، أن يوقر الصغير من هو أكبر منه فذلك حقه عليه، وأن يحسن الكبير معاملة من هو أصغر منه فذلك حقه عليه.

فلما تخلى الصغير عن توقير الكبير وصار الكبير يتكبر ويسيئ معاملة الصغير، اختل نظام المجتمع وانتشر سوء الأدب، الذي امتدت أصابعه ونالت من الآباء والأساتذة والمعلمين وولاة الأمر.

وسوء الأدب في كل مكان داعٍ للشر والفساد، ذلك أن الأبناء صاروا لا يوقرون آبائهم فبالتالي يتجاهلون نصحهم ويجهلون على من هم أكبر منهم، ولا عجب فقد جهلوا من قبل على من كان أولى بالتوقير والإكبار.

وذلك كله مما يتسبب في شرٍ عظيم تختلف صوره وألوانه، قد تكون في مشاجرة حادة تودي بحياة أحد الأطراف ومثل ذلك كثير.

كذلك كل صاحب مهنةٍ أو وظيفةٍ في وظيفته ومحل عمله، والذي يدفعه سوء أدبه إلى أن يجهل على من هو أعلى منه، ويتكبر على توجيهاته فيتسبب بالفساد في منظومة عمله الذي يعمله، والذي بالتالي يعود بالضرر على مصالح ومنافع الدولة والناس.

وقد يظن الكثير ممن يهملون ثقافة توقير الكبير، أنهم يكونون بمظهر الضعيف أو الذليل إن تحلوا بذلك السلوك وذلك الخلق الكريم، ولست أعيب عليهم هذا الظن، لأن بين التواضع والاحترام والمذلة خيطٌ دقيقٌ لا يراه الكثير.

ولكن ذلك لا يعني أن أترك احترام من هو أكبر مني سناً بالكلية، حتى وإن كان يكبرني بالقليل من السنوات والأيام، فإن

توقير الكبير من أسباب انتشار المحبة وتحويل الكراهية إلى مودة وسلام.

فإنك إن عاملت أحدهم باحترام قد لا يستحقه، فإنه في الغالب يتظاهر بأنه أهل لذلك الاحترام، ويتصرف تصرفات من هم أهل للاحترام والتوقير، فأنت بحسن خلقك دفعته إلى مثل تلك الأفعال.

ومع التكرار قد يتغير باطنه وينقلب سوء خلقه وحاله إلى حسن الخلق والفعل، فالتطبيق الفعلي لسياسة توقير الكبير مما يرسخ قواعد الوئام والسلام بين أفراد المجتمع، ومما يستجلب محبة الناس لمن يحترم غيره وخاصة من هو أكبر منه.

وقد يتعدى احترام الكبير من هو أكبر في السن ويصل إلى من هو أكبر في المقام، وإن لنا في الصحابة الكرام خير قدوة وخير مثل في هذا الشأن.

فقد روي " أن سيدنا عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، التقى بسيدنا زيد بن ثابت ﷺ وكان من العلماء الأجلاء، وكان راكباً على بغلته فأخذ ابن عباس بلجام دابته وقادها له

فسأله لم تفعل ذلك يا ابن عباس فقال له: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا، فنزل إليه الصحابي الجليل وقبل يده وقال له: وهكذا أمرنا أن نفعل بآل بيت نبينا"

فهنا قد تمثلت صورتين من صور إكبار الكبير، فسيدنا ابن عباس قد فعل ما يوجبه احترام الكبير سناً ومقاماً، وأما سيدنا زيد ابن ثابت فقد فعل ما يوجبه أدب العلماء، وتواضعهم مع من هم أهل للتوقير والإكبار.

فما أحوجنا في هذه الأيام إلى تطبيق هذه السياسة الطيبة وهذا الخلق الكريم، وحسبنا في ذلك قول رسول الله ﷺ فيما يروى عنه: " ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا".

# اعقلوا وتوكلوا

من الحكمة أن يكون لدى المرء وعيٌ بفقه التعامل مع المواقف المختلفة، التي يمكن أن يتعرض لها الفرد والمجتمع في أي وقت، وإنه لا بد أن يتواجد في كل مجموعة من الناس فرد أو أكثر ممن لديهم هذا الوعي، وعلى هؤلاء الأفراد أن ينشروا ذلك الوعي بين الناس الذين يحيطون بهم.

وإذا ما نظرنا لحال البلاد في هذه الأيام، فإننا نجد أنفسنا في داخل محنةٍ كبيرةٍ وخطيرة وهي انتشار وباءٍ قاتل بين الناس، ونسأل الله أن يخرجنا من هذه المحنة على خير.

غير أن ردود الأفعال عند عامة الناس وطرق تعاملهم مع هذه المحنة، أبانت عن سوء وقلة فهم عند الكثير والكثير من الناس.

فإن الغالبية العظمى من الناس، تعاملوا مع الموقف بتجاهلٍ كبير واستهتارٍ مبالغٍ فيه، وعدم إدراك لخطورة الموقف الذي تمر به البلاد.

بل وجدنا الكثير والكثير من السخرية وعدم المبالاة، إلا أن هناك شيئاً واحداً كان صواباً في نظري لو تم استخدامه كما يليق، وهو نشر الإيجابية بين الناس وتبديد الهلع والخوف مع الأخذ بأسباب الحفظ والوقاية.

فقد كان الأصوب مع السخرية التي تنشر الإيجابية أن يتم التشجيع على الأخذ بأسباب السلامة، واتباع تعاليم الدولة فيما يخص هذا الشأن، وإن التشجيع بالصورة الكوميدية التي تعود عليها الشعب المصري، لا يوجد أسهل منه.

وفي خضم الأحداث التي مرت بها البلاد في هذه الآونة، كان الناس على صنفين

**الصنف الأول**

هم الذين تألموا لغلق المساجد ومنع الجماعات فيها، وقد عبروا عن أسفهم بحرارة وعابوا على الدولة ذلك الإجراء ،والحق يقال

أن ذلك الأمر يثير الحزن في نفس كل مسلم، حتى وإن كان ممن يقصرون في آداء الصلوات.

ولكن ما فعلته الدولة في هذا الإجراء كان شبيهاً بما فعله الخليفة العادل عمر بن الخطاب ﷺ ، حينما حل الوباء بالمسلمين في عهده، فاتخذ إجراءات وقائية مشابهة من أجل الحفاظ على أرواح الناس وللحفاظ على الدولة الإسلامية.

ولست أرى أحداً من أشقائنا المسيحيين فعل مثل ما فعلنا، بالرغم من أن الدولة اتخذت نفس الإجراء، مع دور العبادة الخاصة بهم.

**أما الصنف الثاني**

فهم كثير، وهم المُحبِطون والمُثَبِّطون الذين ينشرون اليأس والتكاسل والتواكل بين الناس، وأعيب عليهم الكثير من الأفعال والتصرفات في هذه الأزمة التي تمر بها البلاد.

ذلك أن من أكبر أخطائهم أنهم يسخرون ممن يسعى للحفاظ على نفسه، ويلبس الكمامة أو القفاز أثناء سيره في الطرقات ويرمقونه بنظرات التعجب والسخرية

وذلك مما يدعوا بقية الناس ممن لديهم الرغبة في الحفاظ على أنفسهم، أن يتركوا الأخذ بأسباب الوقاية، وذلك خطأٌ كبير يؤدي إلى فسادٍ عظيم.

فعلى القلة القليلة في المجتمع التي تتمتع بالوعي والرؤية السليمة أن يرشدوا غيرهم، وأن يأخذوا بأيديهم إلى بر الأمان والسلام، حتى يحصل لدينا أكبر عدد ممكن ممن يعقلون ويفهمون.

فعلينا ألا نلقي بكل الحمول على الدولة ونجلس متكاسلين متواكلين، فإن الله لا يوفق إلا الذي يسعى ويجتهد، ولنأخذ بأسباب السلامة حتى يسلمنا الله، ولنبتهل إلى الله يحفظ بلدنا مصر وسائر بلاد المسلمين.

# علمتني الهرة

إن الله سبحانه خلق جميع الكائنات وسواهم وأنشأ نفوسهم، على فطرةٍ طيبةٍ طاهرةٍ مليئةٍ بالنور والخير وحب الجمال، ولا يختلف في ذلك إنسانٌ وحيوانٌ وجماد.

ولا تتعجب عزيزي القارئ عندما أقول جماد، فحتى الجمادات لها نظام وترتيب ولغة تخاطب لا يعلمها إلا الله، كذلك الزروع والنخيل والنباتات، ولم يخرج عن الفطرة السوية السليمة إلا الإنسان.

ومن عجيب ما رأيت أنني وجدت هرةً كانت تريد أن تقضي حاجتها، فذهبت خلف كثيبٍ من الرمل وتوارت عن الأنظار ما استطاعت، ثم حفرت داخل الرمال حفرةً قضت فيها حاجتها.

وبعد انتهائها ظلت تُهيل الرمال حتى قامت بمواراة فضلاتها، وأثناء كل ذلك كانت تتلفت حولها وحالها كحال من عثر كنزٍ ثمين، ويخشى أن يطلع عليه أحد.

علمني ذلك المشهد الذي رأيت الهرة فيه تفعل كل ذلك، أو فلنقل ذكرني بشيئين

**الشئ الأول**

هو أن النظافة من الإيمان كما قال سيد الخلق ﷺ وأنه يجب على كل ذي عقلٍ وفهمٍ سليم، أن يحافظ دوماً على نظافته الشخصية

فإذا فعل ذلك فليحافظ ما استطاع على نظافة ما يحيط به، فإن ذلك مما يعود على الفرد والمجتمع بالصحة النفسية السليمة، والصحة الجسدية

**الشئ الثاني**

أنه يجب المحافظة على المظهر والمشهد العام للأزقة والطرقات، فالهرة حاولت ما استطاعت أن تتوارى عن الأعين وأن تواري ما خلفته ورائها من أذى.

ونحن بني الإنسان أولى أن نحرص على ذلك، وإلا فأين التكريم الذي جعله الله للإنسان على غيره من سائر المخلوقات.

ولذلك نجد الدول والمجتمعات المتحضرة، تعتني بالنظافة العامة للطرقات عناية شديدة، وتفرض العقوبات القاسية على كل من يخالف ذلك.

فعلى فردٍ في كل مكان أن يبدأ بنفسه فلا يشارك في تشويه الطرقات بالقمامة والنفايات، ثم بعد ذلك يقوم بنصح معارفه وأصدقائه الذين يكونون من حوله في العادة.

وحسبنا هنا قول المصطفى ﷺ فيما يروى عنه: " أعطوا الطريق حقه، قالوا وما حث الطريق يا رسول الله؟ قال: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر".

# ولو كنت فظاً

"ما كان الحلم في شيءٍ إلا زانه، وما نزع من شيءٍ إلا شانه"

لخصت هذه المقولة كل القواعد والأساليب الصحيحة، لتعامل الناس مع بعضهم البعض، فإن أساس نجاح كل العلاقات الإنسانية مع اختلافها، هو الحلم والتفاهم.

وإذا نظرنا إلى الخلافات المجتمعية والإنسانية في العالم، نجدها ترجع في المقام الأول إلى القسوة ثم الجهل والطمع.

فإن قسوة القلوب من أسوأ الأخلاق التي يمكن أن تصيب أي مجتمع، فقساة القلوب هم أصعب الناس في تعاملهم مع الناس، وهم أكثر من يتم تجنبهم من الناس.

فبطبيعة الحال لايود أي أحدٍ أن يتعامل مع شخصٍ دائماً ما يلقاه بوجهٍ عابسٍ مُكفَهِرّ، ويتعامل معه بفظاظةٍ وغلظة.

وعلى العكس من ذلك، فإن الناس يحبون التعامل مع من هو موصوفٌ ببشاشة الوجه، وسعة الصدر وحسن الخلق، ونجد في شريعتنا الأمر بذلك والحث عليه في العديد من الآيات والأحاديث النبوية الشريفة.

فمن ذلك قول رسول الله ﷺ فيما يروى عنه: "تبسمك في وجه أخيك صدقة" فالابتسام والبشاشة، ينشران الود والطاقة الإيجابية بين الناس

فأنت بطبيعة الحال لا تستطيع أن ترى جارك أو صديقك، أو زميلك أو حتى من يمر جوارك بالطريق، وهو يبتسم لك ولا تقوم أنت بالابتسام له أيضا، بل وربما تتشاركون الأحاديث معا.

وإن التلطف والبشاشة وسعة الصدر، لكل منهم الأثر البالغ والطيب في تربية الأبناء وتنشئتهم النشأة السوية السليمة، فإن الطفل بطبيعة الحال صاحب نفس شديدة الحساسية والتأثر بما حولها ومن حولها.

والطفل دائماً ما ينظر إلى الحياة بعيون والديه والمحيطين به، ويكتسب صفاته الشخصية والنفسية الإيجابية والسلبية من والديه، فإن كان الوالدان قاما بتربيته ومعاملته باللطف واللين وسعة الصدر

فإن ذلك مما يكون له الأثر الطيب في شخصيته، وذلك بالطبع مع مراعاة عدم المبالغة في ذلك، حتى لا يكون طفلاً متمرداً ذو أخلاقٍ وطباعٍ فاسدة.

وإذا نظرنا إلى الشباب الذين لا تعجبنا أخلاقهم الذميمة وطباعاهم الفاسدة، نجد الغالبية منهم قد تعرضوا ولا زالوا للقسوة والغلظة في تربيتهم، وسوء المعاملة والاستهتار بهم من قِبَل والديهم، فصاروا إلى ذلك المآل وذلك الوضع الذي هم عليه الآن.

فإن الطفل إذا لم يجد ما يبني به شخصيته ونفسيته، بما يضمن له النشأة السوية عند والديه، فإنه لا بد أن يبحث عن البديل في

مكانٍ آخر، وغالباً الذي يتم اكتسابه عندئذٍ هو سوء الأخلاق وفساد الطباع، وحسبنا أولاً وأخيراً في ذلك قول الله تعالى: "ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك..

# لا تكونوا من المثبطين

إن قصة السفينة التي رواها لنا رسول الله ﷺ، فيها العديد من الدروس الحياتية المهمة، التي يجب أن نتعلمها ونطبقها في حياتنا العملية، حتى نكون في مجتمع يتمتع بكل صفات التحضر والرقي والإنسانية.

فعن النُّعْمانِ بنِ بَشيرٍ رضي اللَّه عنهما، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: مَثَلُ القَائِمِ في حُدودِ اللَّه، والْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَومٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سفينةٍ، فصارَ بعضُهم أعلاهَا، وبعضُهم أسفلَها

وكانَ الذينَ في أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الماءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا في نَصيبِنا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا. فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِم نَجَوْا ونَجَوْا جَمِيعًا رواهُ البخاري.

فكما ورد فإن الناس إن أخذوا بيد بعضهم البعض وتعاونوا فقد ربحوا وفازوا، وإن أخذوا على يد بعضهم البعض بأن منعوا المخطئ منهم، وردوه عن خطأه وبصروه بسوء العاقبة التي سيؤول إليها فقد أفلحوا كذلك.

والتعاون بين الناس صوره وألوانه عديدة ومختلفة، ومن أهمها أن لا يكون الإنسان من المثبطين، وهم: المتشائمون الذين يخيبون من آمال الناس ويحبطون عزائمهم، ويضعفون من إراداتهم وهممهم.

والمثبطون هم أخطر الناس على المجتمع، ذلك أنهم يقفون بقناعاتهم الفاسدة في وجه كل نجاح وتقدم، ويكونون عائقاً وحجر عثرةٍ أمام كل صاحب رؤيةٍ وهدفٍ وغايةٍ يسعى لتحقيقها.

فكم من أناسٍ كان بداخل الواحد فيهم العالم النابغ والطبيب الحاذق، والأديب الملهم والفنان الموهوب، ولكن ماتوا جميعاً واندرست مواهبهم، بسبب الإنصات للمثبطين من الناس.

ولا أعني بالموت هنا موت الجسد، ولكن أعني موت الموهبة التي كانت موجودة في نفس صاحبها، وكان من الممكن أن تلمع وينتفع بها الناس، لولا أن أصحابها كانوا أضعف من أن يحاربوا من أجلها.

وإن أفضل الأمثلة التي ضُربت لنا والتي تتحدث عن خطر وشر هؤلاء الفئة من الناس، حديث القرآن الكريم عنهم وذكره لهم، فقد قال الله تعالى في سورة الأحزاب:

"لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (٦٠) "

فقد أسماهم القرآن المرجفون في المدينة، وهم الذين كانوا يضعفون همم المؤمنين عند الخروج للجهاد في سبيل الله، بهدف إضعاف جيوش المسلمين وكسر شوكة الإسلام

لكن الله تعالى كشفهم وفضح أمرهم، وحذر المؤمنين من شرورهم والفساد الذي ينجم عن بقائهم بين أظهرهم.

وإن من الصور الخطيرة لذلك الأمر، هؤلاء الفئة من الناس الذين يمارسون هذا الخلق الفاسد بجهلٍ منهم، ودونما وعي بمدى خطورته، ويظنون أنفسهم بذلك على قدرٍ كبيرٍ من الفهم عن الحياة، وأنهم يتمتعون بالخبرة الكافية للتعامل معها.

فلذلك تجدهم يسدون النصح مخلصين لمن قاموا بتثبيط هممهم، وهم في الحقيقة قد ظلموهم حينما كفوهم ومنعوهم عن عظائم الرغبات ومعالي الأمور.

وظلموهم كذلك حينما زرعوا في نفوسهم الخوف، من مواجهة المصاعب والمتاعب في سبيل تحقيق الآمال العالية، وحينما ربوا نفوسهم على الكسل والرضا بدنيئ الأحوال، برغم وجود القدرة على نيل عظيمها، وما أصدق قول أبي الطيب المتنبي في هذا الشأن حينما قال:

***"ولم أر في عيوب الناس عيباً * كنقص القادرين على التمام"***

فعلينا جميعاً أن ندرك مدى خطورة هذا الأمر وأن نسعى لتلافيه، وإن لم يكن باستطاعة الإنسان أن ينشر الأمل والتفاؤل

والطاقة الإيجابية بين الناس، فلا يقوم بإحباط عزائمهم والتقليل من شأن أحلامهم وأمانيهم، مهما كانت بسيطةً في نظره.

وعلى كل ولي أمرٍ أن يدرك مسؤولية الأمانة التي أمنه الله عليها، وهم الذين يتولى أمرهم، فعليه أن يدفعهم إلى كل هدفٍ نبيل، وأن يزرع بداخلهم كل خُلُقٍ جميل، وأن لا يكون أول من يخذلهم بأن يكون من المثبطين.

وعلى كل صاحب غايةٍ وهدفٍ أن يحارب من أجل غايته وهدفه، وأن لا ينصت لقول المرجفين، وحسبنا قول سيدنا رسول الله ﷺ، فيما يروى عنه: **" المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ".**

# الأبطال الصغار

إن هذا العالم، مليئ بالأبطال الذين يحيطون بالناس في كل مكان، فمنهم من هو معلومٌ مشهور، مثل: رجال الجيش والإطفاء والأطباء والمسعفين، ومنهم من يعرفه بعض الناس ويجهله البعض، ومنهم من لا يلحظه أحدٌ بالمرة إلا قليلاً من الناس.

وهذا النوع الأخير من الأبطال منتشر بكثرة، وربما لذلك لا يعلم بوجوده أحد، وكذلك فإن هذا النوع غير ملفت للنظر على الإطلاق بل هو عاديٌ جداً، ولكن جوهر هذا النوع مميز.

وأخص بالحديث هنا من هذا النوع الأبطال الصغار، والذين كانوا الدافع والسبب لكتابة هذا المقال، للتحدث عنهم وتسليط شئ من الضوء عليهم، وتوسيع دائرة المعرفة بهم.

إن الأبطال الصغار هم أطفالٌ، آثروا المجاهدة والعمل لمساعدة أولياء أمورهم، على اللعب واللهو، وهم في غاية الرضا والسعادة بما يفعلونه.

وإنك عزيزي القارئ ربما تقول أن هؤلاء الأطفال، اضطرتهم الظروف المعيشية لذلك، وهم لم يفعلوا ذلك مختارين بل هم مجبورون على ذلك، وإلا فإنه لا يوجد طفل يؤثر الكدَّ والتعب على اللهو واللعب مع أقرانه.

ونعم، قد يكون لديك الحق في ذلك الرأي، ولكن في رأيي ذلك بالتحديد هو ما يجعلهم أبطالاً، لأنهم وهم في حال اضطرارهم لذلك قد رأيتُهُم يستمتعون بما يفعلون، ويتحمسون في كل يوم للقيام بأعمالهم، وهذا في نظري ليس حال المضطر و لا ذلك شعوره.

إن من هذا النوع المجهول أيضاً من الأبطال، أولئك الشباب الذين تحملوا مسؤولية الحياة باكراً، وجاهدوا في سبيل تقديم العون لأهاليهم وذويهم، من أجل طلب الرزق ولقمة العيش.

وبينما هم كذلك تراهم أيضا يسعون جاهدين في الدراسة وتحصيل العلم، فأصحبت جهودهم مضاعفةً وصار عملهم غايةً في الصعوبة والمشقة، وبسبب هذه المجاهدات يستحقون عن جدارةٍ، أن يكونوا أبطالاً ومثلاً يُحتَذى به وقدوةً لكل من هم في مثل أعمارهم.

وإني ليحضرني هنا عند الحديث عن هؤلاء الأبطال، الإمام أحمد بن حنبل العالم المحدث الفقيه ﷺ، فقد كانت نشأته وطفولته صعبة.

ذلك أن والده لقي ربه شهيداً في إحدى معارك المسلمين، وكان هو صغير السن يتردد على العلماء والمشايخ لطلب العلم، ولم يكن عنده هو ووالدته ما يكفي لإعالتهم، فكان يعمل أجيراً عند الناس مقابل مبلغٍ بسيطٍ يغنيه عن السؤال.

إلا أنه في نفس الوقت كان يجاهد في تحصيل العلم ما استطاع، حتى غدا عالماً وإماماً كبيراً، أُنيرَت به الدنيا ودافع الله به عن الإسلام، وظل هكذا يأكل من عمل يده حتى لقي ربه عفيفاً كريماً.

إن نماذج هؤلاء الأبطال، أكثر وأكبر من أن يحصرها قلم كاتب أو لسان خطيب، وإن هؤلاء الأبطال يستحقون من الدولة عنايةً فائقةً وخاصة.

فإنهم إن حصلوا على مثل هذه العناية، سيخرُجُونَ إلينا وفيهم العامل والمهندس، والطبيب والمعلم، الذين يتحملون العبئ والمسؤولية في مختلف تخصصاتهم، ذلك أنهم صاروا أهلا لها لأنهم أثبتوا أنهم على قدر المسؤولية من حداثة أسنانهم.

وعلى الشباب أن يعلموا أن هذه الدنيا ما جعلها الله تعالى إلا دار مشقة وتعب، فلا يُنالُ منها أي نجاحٍ أو تقدمٍ بمجرد الرغبة

والتمني، بل لا بد من السعي والجهاد في سبيل ذلك، فقد جرت وسبقت سنة الله تعالى في هذا الكون، أن يكون كل شئ بسبب.

فعلى الشباب أن يستفيقوا، ويتركوا اللهو الذي صار مبالغا فيه جدا في السنوات الأخيرة، فإن الأيام تمضي سريعاً والعاقل من يمضي عليه الوقت وقد استنفذه فيما يفيد، وعلى الشباب أن يتخذوا هؤلاء الصغار والشباب الأبطال قدوةً لهم يحتذونها، ومثلاً يسيرون عليه فإن ذلك مما يرفع الهمم.

# ربوهم قبل أن تزوجوهم

الزواج هو سنة وفطرة خلق الله تعالى حبها والرغبة فيها في خلقه، وليس الإنسان فقط، ولكن لما كان الإنسان هو أشرف المخلوقات كان شأن الزواج الخاص به شريفاً، وله أصولٌ وضوابط حتى يكون زواجاً يؤتي ثماره، وتحصل معه الفائدة المرجوة منه.

كالاستقرار النفسي والعاطفي للزوجين، والسرور بقدوم الذرية وأن تكون هذه الأسرة على طاعة الله والتحلي بمكارم الأخلاق، فتنتفع هي ومن يحيط بها في المجتمع البشري.

وأعلم أن ما أقوله الآن عن الزواج، هو من قبيل أحلام اليقظة عند الكثير من الناس، لأن ما نعايشه ونراه منذ أمدٍ طويل قد يقدر بعشرات أو مئات السنين، هو العكس تماماً من الزواج

الذي أتحدث عنه، إلا قليلاً ممن وفقهم الله تعالى لتحقيق هذه الفوائد المرجوة من الزواج.

ولكن كان من اللازم والمحتم علينا أن نُذكِّرَ أنفسنا وغيرنا، بالصورة الصحيحة والغاية المطلوبة من الزواج وما الذي يستوجبه، ولعل وعسى أن تشق هذه الحروف طريقها لقلوب وعقول المجتمع، فيحدث شئ من التغيير وليس ذلك على الله ببعيد.

فحال الأُسَر الآن لا يرضى به أحد، وكثيراً جداً نرى ونسمع عن زيجاتٍ فشلت، وانتهت بالفراق والانفصال بالرغم من وجود ذريةٍ صغار، مما يترتب عليه ضياع هذه الذرية، ناهيك عن الخلافات المترتبة على هذا الفراق، بين أهل الزوجين.

إن أي زواج لابد أن يكون مبنياً على حسن اختيار الشريك، ثم التفاهم والاحترام المتبادل بين الشريكين، لابد كذلك من تواجد صفات في شخصية كلاً من الشريكين، حتى تكون حياتهما معا آمنةً مطمئنة.

وعلى كل من يرغب أو ترغب في الزواج وينوي الإقدام على هذه الخطوة، أن يعلم هذه الصفات وأن يتحلى ويتصف بها إن لم يجدها في نفسه، وذلك إن كان يريد زواجاً سعيداً هادئاً وحياةً مستقرةً هانئة.

**فأما الزوج**

فعليه بادئ الأمر أن يعلم علم اليقين ويدرك، أن الزواج ليس مجرد شريكة تبادله العشق والمحبة، وأنه ليس لمجرد الإشباع العاطفي الذي يرغب فيه، بل هو حياة كاملة يتخللها الخلاف والمشاكل والصعوبات والمتاعب، وهو مسؤولية عظيمة.

فأنت عزيزي الزوج مطالبٌ بأن تكون مسؤولاً عن زوجةٍ وأبناء، عن حياتهم ومعاشهم وصلاحهم أو فسادهم فأنت المحاسب عليه، ثم إنك لابد أن تدرك أن الخلاف بين البشر طبيعة متأصلة في نفس كل إنسان، وحتماً سيكون هناك خلاف بين الزوجين.

فالمطلوب هنا في هذه الحالة أن لا يخرج هذا الخلاف عن حدوده، ويظل في إطار احترام وجهات النظر وتقديم وتنفيذ الرأي المناسب للصالح العام للحياة الزوجية، لا يهم من أي طرف صدر هذا الرأي.

فإنك عزيزي الزوج لابد أن تكون رجلاً حليماً واسع الصدر، لأن النساء بطبعهن متقلبات الرأي والمزاج، فيجب أن تتعامل مع ذلك بصبرٍ ولا تلجأ أبداً للعنف، فإن سر محبة الزوجة لزوجها هو الشعور معه بالأمان، والاحترام لكيانها أنها إنسانة وليست عبدة تسمع وتطيع، بلا نقاشٍ أو جدال.

وبالطبع يكون كل ذلك في إطار الحدود الشرعية، فإن لم تكن عزيزي الزوج لا ترى في نفسك هذه الصفات والمؤهلات، لا تُقدِم على الزواج حتى تتصف بها وتكون له أهلاً، لأنك إن فعلت ولست أهلاً له بَعد، قد تعاني من مفاسد عظيمة تكون أنت السبب فيها.

ولقد سائني والله حال أحد الشباب ليس لديه إلا أخٌ واحد يعيشان مع أمهما سوياً، وقد طلقها أبوهما وهم صغار السن وتركهم ليتزوج بأخرى، ولم يعبأ بهم بعد ذلك ولم يشغل نفسه بأحوالهم وكيف يعيشون ومن أين يقتاتون.

فهذا الرجل لا أعلم كيف سيلقى الله بذنب هؤلاء الولدين وأمهما، وكيف سيبرر عند الحساب ظلمه لهم وتفريطه في حقهم، وتضييعه أمانة كفالة هذه الأسرة والقيام عليها، وهناك الكثير والكثير للأسف من الأسر التي تعاني من نفس الحال، فالله يتولاهم ويرعاهم.

**أما الزوجة**

فعليها أن تعلم ما تكلمت عنه في بادئ الأمر في حق الزوج، من مدى أهمية هذه المسؤولية التي هي مُقدِمَةٌ عليها، وأن الأمر ليس مجرد عواطف ومشاعر فقط، وإن كنت لا أنكر وجودها وضرورتها.

وأنه لا بد من الصعاب والمتاعب في الحياة، ثم إنها يجب عليها أن تكون قانعةً بحياتها مع زوجها ما دام لا يقصر في نفقتها، وأن تكون له سكناً وملجئاً إذا عصفت به الهموم، وأن تطيعه فيما يأمر به الشرع والعرف الذي لا يخالف الشرع، فإن ذلك مما يزيد قدرها عند الله وعند زوجها.

وأن لا تثقل على زوجها من أجل تحقيق الرغبات الشخصية، فإن الحياة ليست دائما للهو والمرح، وأن تكون عفيفة اللسان والخلق.

وقد سائني أيضا أنني سمعت مرةً جارةً لي وهي تصرخ على ولدها الصغير، وتنهال عليه بوابلٍ من الدعاء عليه بغلظةٍ وحقدٍ لم أر مثلهما قط، كأنه ليس بولدها أو كأنه ظالمٌ جَارَ عليها وأكل مالها.

وتفكرت في حالها ولماذا وكيف وصلت الأمور بها إلى هذا الحد، الذي يجعلها تدعوا على ولدها بالهلاك وغيره، ويا ترى

ما هي الهموم التي تثقل عاتقها حتى غلبت على أمومتها، وجعلتها تعامل ولدها الصغير بكل هذه القسوة والغلظة.

لذلك فإنه يجب على كل شابٍ وفتاةٍ يريدان الزواج، أن يعلما قدر وأهمية وخطورة الأمر الذي يقدمان عليه، وعلى الآباء أن يربوا أبنائهم وبناتهم التربية الأخلاقية والنفسية السليمة.

وأن يزرعوا بداخلهم الوعي الكامل لمسؤولية الزواج والحياة الزوجية وصورتها الصحيحة، إذا ما عزموا عليه، ولعل وعسى أن ينتشر هذا الوعي فتنصلح به أحوال الأسر في مجتمعاتنا، وهذا ما نرجوا أن نعايشه ونراه.

# هل ربيتم أبنائكم؟

لا شك أن الإنسان يسعد عندما تتقدم به السن، ويجد أن أبنائه أحدهم أو جميعهم صار ذو مكانةٍ عاليةٍ وصاحب شأنٍ رفيع، كأن يكون طبيباً أو مهندساً أو يعمل في القضاء، ويظل ينتشي بذلك ويفخر به ويعتقد في نفسه أنه هكذا قد أدى أمانته وربى أبنائه.

ولكن هل هذا صحيح؟

وهل هذه هي الصورة الصحيحة والكاملة لتربية الأبناء؟

بالطبع أن يكون الأبناء ذوي مكانةٍ عاليةٍ بين الناس، لهو شأنٌ عظيمٌ وإنجازٌ يستحق الوالدان الفخر به، ولكن هذا الإنجاز ليس لهم فيه نصيبٌ غير أنهم قاموا بتوجيه الأبناء للطريق، والباقي كان من جهد هؤلاء الأبناء.

ولكن النصيب الذي يستحق أن يفخر به الوالدان، ومعه يكونون قد أدوا أمانة التربية لأبنائهم، هو ما يقومون بغرسه داخل أنفسهم من مكارم الأخلاق وحسن المعاملة، حتى وإن لم يوفقوا لمثل هذه المناصب الاجتماعية الراقية.

وإننا وللأسف الشديد صرنا نعاني من أجيالٍ ظفرت بهذه المكانة، ولم يكن لها من الأخلاق وحسن التربية أدنى نصيب، إلا ما يظهرونه من تصنعٍ وكذبٍ رجاء منفعة.

فالغالبية من هؤلاء ليس لهم همٌ إلا تكديس الأموال، وذلك عن طريق الاستغلال السئ لمناصبهم ووظائفهم، وعلى حساب خداع الناس والتغرير بهم واستغلالهم، كما يفعل بعض الأطباء والموظفين بالدولة، وذلك بالطبع مما لا يرضي الله سبحانه وسوف يحاسبهم الله على ذلك.

ثم إنك عند التعامل مع هذا النوع، تجد منهم التكبر في الكلام والفعال، فلا ينفك الواحد منهم ينظر لغيره بازدراءٍ وأنه دونه،

وقد تناسى هؤلاء القوم أن ما وصلوا إليه كان من فضل الله تعالى وتوفيقه

"وما بكم من نعمة فمن الله".

وسبب ذلك يرجع في رأيي إلى سوء تربية الوالدين في المقام الأول، ذلك أن الغالب من الآباء حينما يقومون بتوجيه أبنائهم، إلى التعلم والحصول على أعلى الشهادات الدراسية، يزرعون في أنفسهم أن الغاية من ذلك هو المكانة الراقية والحياة الرغيدة.

بغض النظر عن مسؤولية أي منصبٍ يتولونه والواجب المنوط بهم تجاهه، لذلك نشأوا على أنانيةٍ مفرطة، وبعدما كان يُرجَى أن يكون الواحد منهم الولد الصالح الذي يدعو لأبويه، صار الولد الفاسد المتكبر الذي يؤاخذ بسوء خلقه والداه حتى بعد موتهما.

وإني ليحضرني في هذا المقام الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله، الفقيه العالم العابد الزاهد الذي نشأ يتيم الأب فاعتنت

به والدته، ثم لما بلغ أشده وجهته لطلب العلم رجاء أن ينتفع به الناس.

وأثناء طلبه للعلم عند الإمام مالك بن أنس رحمه الله، وبعد أن أنهى الدراسة على يديه كان الإمام مالك يحبه في الله، وقبل أن يرحل عنه أوصاه وأعطاه نصف ماله وكان كثيراً

فرجع إلى الحجاز لرؤية أمه ومعه هذه الأموال تحملها الدواب والبعير، فأخبروا أمه أنه قادم على مشارف مكة ومعه هذه الخيرات، فظنت أنه انشغل بالتجارة ولم يطلب العلم.

فخرجت إليه ومنعته عند أبواب مكة، واستحلفته بالله أن يصدقها كيف رجع بكل هذا والمال وهو خرج لطلب العلم وهو مديون، وأقسمت ألا يدخل مكة إن كان ترك طلب العلم.

فأخبرها بما كان من شيخه الإمام مالك، فعند ذلك رحبت به وسمحت له بالدخول فهكذا تكون التربية وهكذا يكون التوجيه والإرشاد لصالح الأبناء.

يحضرني كذلك الدكتور الإنسان محمد عبدالغفار مشالي رحمه الله، الذي اشتُهِرَ عند عامة الناس بـ **طبيب الغلابة**، ذلك أنه بالرغم من الشهادات التي حصل وكفائته الطبية، لم يُسخِّر علمه للتكسب به على حساب المرضى والفقراء.

بل إنه قام بتسخيره لمساعدة هؤلاء القوم والأخذ بأيديهم، ولم يكن يأخذ مقابل الكشف في الكثير من الأوقات، ومن كان يستطيع من المرضى أن يدفع فإنه لا يأخذ منه أكثر من عشرة جنيهات.

والملفت للنظر أنه في لقاءٍ له صرح أن من الأسباب التي دفعته لذلك، وصية والده حينما قال له استوص بالفقراء خيراً، فهنا نجد والداً اجتهد ليربي ولده ويجعله في مكانةٍ اجتماعيةٍ لائقة، ولم يهمل في تعليمه مكارم الأخلاق فكان ولده سبيل خير ونفع لكثير من الناس، وكان الولد الصالح الذي يدعو له.

وليت الآباء يعنون بالتربية الأخلاقية لأبنائهم، بقدر عنايتهم بالمستقبل الذي يرجونه لهم، فإنهم إن فعلوا يكونون قد صانوا

الأمانة، وأدوا رسالتهم في الحياة تجاه أبنائهم، وأخلوا مسؤوليتهم أمام الله عز وجل.

# إن كنت صديقي خذ بيدي

مما لا شك فيه أن الإنسان اجتماعي ومدني بطبيعته، يحب أن يألف ويؤلف ويصير لديه معاملات مع غيره من بني الإنسان، وأن تنشأ بينه وبينهم الكثير من العلاقات المختلفة والمتنوعة.

ومن أبرز هذه العلاقات وأوثقها الصداقة، فكل إنسانٍ أو فلنقل غالب أفراد بني الإنسان، لديه صديقٌ ورفيقٌ قد يكون هذا الصديق الرفيق غير آدمي، وليس من الأحياء

كأن يكون من نسج الخيال، أو يكون كتاباً أو غير ذلك، وقد يكون غير آدميٍ ولكنه من الأحياء، كأن يكون نوعاً من الحيوانات أو الطيور المختلفة.

غير أنني أخص من جميع هذه الأنواع الصديق الآدمي، لما له من قيمةٍ عظيمةٍ ومكانةٍ عاليةٍ وشأنٍ خطير، وإن للصديقين حقوقاً وعليهما واجبات.

ولذلك أوصت الشريعة الإسلامية بحسن اختيار الصديق، قال الله المولى ﷻ في محكم التزيل: "الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين"

فقد بينت الآية أنه في يوم الحساب والعرض على الله، لا ينفع الصديق صديقه ولا يملك له من الله شيئاً، بل تتبدل هذه الصداقة إلى عداوة، إلا الذين كانوا في الحياة الدنيا من الصالحين، وكانت الصداقة بينهم خالصةً لله.

كما أرشدنا الرسول الكريم ﷺ، إلى حسن اختيار الصديق، روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال "الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل" رواه أبو داود والترمذي.

ومدلول الحديث يفيد أن الصديق لكثرة تواجده مع من اتخذه صديقاً، له الأثر البالغ على طباعه وأخلاقه، فإن كلاً منهما يتأثر بطباع صاحبه ويتطبع بها، فإن كان أحدهما فاسداً انتقل شئٌ من فساده إلى صاحبه، وإن كان صالحاً انتقل صلاحه إلي صاحبه.

وفي أيامنا هذه التي نعيشها، فإننا نجد أن الصداقة قد تبدل معناها وتغير مفهومها وتدنى مستواها، فصارت لا تعني إلا التعاون على الشر والفساد، وهذا إذا سلمنا أن النية فيها صادقة، لأنها وللأسف لا تكون بين أي اثنين الآن إلا لغرضٍ شخصي أو منفعةٍ شخصية.

ولذلك فإن الصداقة يجب أن تُبنى في المقام الأول على النية والشعور الصادق، وبعد ذلك لابد أن تكون تعاوناً على البر والخير، فإن كُنتَ فعلاً تُكِنُّ لصديقك مشاعر الود والمحبة الصادقة، فلا تكن عوناً له على الشرور والفساد.

وقد أرشدنا لهذا المعنى رسولنا الكريم ﷺ، فعن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا، فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلومًا، أفرأيت إذا كان ظالمًا كيف أنصره؟ قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره" رواه البخاري.

وقد امتدح الله تعالى الصداقة التي بُنيت على محبةٍ صادقة، فجعل الله تعالى من بُنيت صداقتهم على الصدق، من الذين يظلهم في ظله يوم القيامة، حيث لا ظل إلا ظل المولى ﷻ.

وقد حُكي عن أحد الملوك، أنه بعدما خلعه أحد أبنائه عن ملكه وجلس على كرسي حكمه، أراد أن يعتزل الناس، والتقى بخادمه وقال له:

بعد هذا العمر الطويل ما الذي ترجوه فيما تبقى لك من عمر؟ فأجابه أنه يرجوا حياةً هادئةً وصحبةً ماجدة، فقال له الملك: أما الحياة الهادئة فقد حصلت عليها، فلا حاجة لولدي بك، وأما الصحبة الماجدة، فقد قررت أن أصحبك معي بعيداً عن هذه الأرض وهذه البلاد.

فنرى أن الخادم هنا بما له من حكمةٍ صقلتها تجاربه في الحياة، والعمر الطويل، توصل إلى أن الصحبة الطيبة، من النعم التي

يسعى الإنسان للفوز بها، ومن كانت لديه فليحمد الله عليها وليصنها.

ولنا في رحلة الهجرة النبوية المشرفة، أروع الأمثلة في هذا الشأن، فالصديق أبو بكرٍ ﷺ يأبى أن يهاجر إلا بصحبة الرسول الكريم ﷺ، صاحبه وخليله، وبعد أن جاء الإذن بالخروج إلى يثرب، يقوم بإعداد العدة اللازمة للسفر من دابةٍ ومتاعٍ ودليلٍ في الطريق.

وكان أثناء السير كثير الالتفات، للتأكد من عدم وجود من يلحق بهم حرصاً على سلامة صاحبه، حتى أنه في الغار دخل قبل النبي ﷺ، وقام بسد كل ما وجده من ثقوبٍ بقطعةٍ من قماش ثوبه وحجر

وهناك ثقبٌ واحدٌ قام بسده بيده، حرصاً على ألا يخرج من هذه الثقوب ما يضر صاحبه، فأنعم بهذه الصحبة وأنعم بهذا الأخلاص، وصدق الإمام علي كرم الله وجهه حينما قال:

***إن الصديق الحق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك***

***ومن إذا ريب الزمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك***

# إلتزامٌ أم مِراء

إن من أخطر ما يضر دين الإسلام والمسلمين، هم أولئك القوم الذين يبدون في ظاهرهم، أنهم يلتزمون بتعاليم وتوجيهات الشرع الحنيف، ولكن عند المعاملة معهم تجد في أفعالهم وأقوالهم وأخلاقهم، الكثير الكثير مما يخالف تعاليم الشرع.

وهؤلاء القوم هم في نظري السبب الرئيسي لتنفير غير المسلمين من الإسلام، وزيادة بعد المبتعدين عن أوامر الله تعالى المُبتلِين بمعصيته، لأنهم يشاهدون هؤلاء القوم الذين يدَّعون أنهم على طاعة الله ﷻ، وهم يكذبون ويضمرون النوايا الخبيثة لغيرهم.

والذي يدعوا للعجب، أن هؤلاء القوم لا يرون هذه العيوب والمساوئ في أنفسهم، ولا يصدقون من يواجههم بها، ويعتقدون في أنفسهم أنهم على خير حال وهم ليسوا كذلك، فكانوا مثل من

قال الله عز وجل فيهم: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِى الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ"

ومما يدعوا للأسف، أن هؤلاء القوم كانوا نتاج فهمٍ خاطئٍ ومغلوطٍ للإلتزام الديني، وهذا الفهم الخاطئ بلغ من الذيوع والإنتشار، أن هؤلاء القوم صاروا دائموا التجدد وأعدادهم في ازدياد، وهذا من الخطورة على الإسلام والمسلمين بمكان.

وإن هؤلاء القوم دفعهم حبهم الشديد للإلتزام الديني، إلى الإلتزام الظاهري المحض، وبسبب ذلك صاروا عبيداً لأنفسهم وشهواتها وللشطان ووساوسه.

فصار مفهوم الإلتزام عندهم هو اللحية والجلباب القصير والطاقية البيضاء، وأن يُنادى الواحد منهم بلقب **الشيخ فلان**، بالرغم من أنه لقبٌ لا يُطلقُ إلا على من تأسس على قواعدٍ علميةٍ ودينيةٍ منضبطة، وهم ليسوا منها في شئ.

كما أنك تراهم يتصدرون للفتاوى الدينية بدون علمٍ، ويتصدرون لإمامة المسلمين في الصلاة بدون إتقان، والوعظ والإرشاد بأساليب منفرة.

ويغلب على هؤلاء القوم في أكثر أحوالهم، شهوة حب الظهور والتكبر على خلق الله تعالى، وإن لم يصرح البعض منهم بذلك بالقول فأفعالهم صرحت بذلك.

وهم بهذه السلوكيات والصفات، يكون خطأهم أكثر بكثيرٍ من صوابهم، ومن هنا كانوا مصدراً للخطر، لأنهم في بواطنهم فاسدون وفي معاملاتهم مع عامة الناس، لا يختلفون عمن يعيبون عليهم من العصاة.

فينظر إليهم الناس ويرونهم على هذا الفساد الأخلاقي بالرغم من ظاهرهم الديني، فبسبب ذلك تسوء عندهم صورة رجال الدين، والعوام يحكمون على الأشياء حكماً كلياً جامعاً، فيكون كل رجال الدين عندهم على هذه الشاكلة، فيختلط بذلك عندهم الغث بالثمين.

ولأجل مكافحة هذا الخطر وإزالة هذا التهديد، يجب على رجال الدين الفعليين أن يقوموا بالتوعية بشكلٍ موسعٍ ومكثف، لأسس التدين والإلتزام الصحيح.

وأن التدين والإلتزام لا يكون بالمظهر الخارجي فقط، ولكن يكون أيضاً بإعمار البواطن ومجاهدة النفس والشهوات، وحسن المعاملة مع كافة خلق الله، والتحلي بمكارم الأخلاق المَرْضِيَّة.

وصدق الرسول الكريم ﷺ فيما يُروَى عنه أنه قال: "إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وألوانكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"

وهناك فئة أخرى من الملتزمين، هم بمثابة التربة الخصبة للتشدد الديني، ويصل الأمر أحياناً إلى التطرف والإرهاب، وهم الشباب الذين غلب على أنفسهم حب التدين والطاعة.

إلا أنهم وجدوا أنفسهم بين بيئةٍ تكثر فيها معصية المولى ﷻ، ويكثر فيها الإنحلال الأخلاقي، فيمتلئون بسبب ذلك غضباً

وسخطاً، على هذه البيئة وهذا المجتمع الفاسد، ويرجعون باللائمة على أولياء الأمور ورجال الدين ولهم في ذلك بعض الحق.

ولكنهم وللأسف الشديد تحت أيدي أناسٍ، يدعون أنهم دُعاةٌ إلى الأخلاق والتدين وليسوا من العلم في شيئ، وما يملكون إلا القليل من المعلومات، وشتان بين صاحب علمٍ وصاحب معلومات، وهم أناسٌ دائماً ما يفهمون النصوص الشرعية، بوجهٍ خاطئ وتأويلٍ منحرف، ينتج عنه أحكامٌ فاسدة.

أما هؤلاء الشباب، فأحسب أنهم صادقون في نواياهم، وأنهم مخلصون في التوجه إلى الطاعة، ولكن يجب عليهم أن يدركوا عدة أمور.

أولاً

أن المُلك بيد الله تعالى يضل من يشاء من عباده ويهدي من يشاء، ولا يكون كائنٌ في ملكه إلا بإذنه وعلمه وحكمته، وأن الذين هم على غير دين الإسلام لا يُجبَرُ الواحد منهم عليه،

والعاصي لا يتم جبره على التوبة والطاعة، وإنما تنفع معهم الكلمة الطيبة، والحوار العلمي المنضبط.

**ثانياً**

التدين والإلتزام بتعاليم الشرع، لا يعني أبداً التشدد والإنغلاق عن كل ما أباحه الله تعالى لعباده، وذلك بما لا يخالف ظاهر الشرع الحنيف، ولكن على بصيرةٍ ونور.

**ثالثاً**

عدم استنباط الأحكام الشرعية، بدون القدر الكافي من العلم والفهم الذي يؤهل لذلك، وقليلٌ هم الذين يحوزون على هذا القدر، فعدم التعرض لهذا الأمر هو الأسلم لدين المرء، وأن يتم أخذ هذه الأحكام ممن يوثق في علمهم وأمانتهم، مثل الأزهر الشريف الذي حمل راية العلم والسنة لأكثر من ألف عام، فليس كل من تصدر للعلم والفتوى بعالم.

**رابعاً**

على الإنسان أن يُغَلِّبَ على نفسه الرحمة، والشفقة بعباد الله الذين ابتلاهم الله تعالى بالمعصية، ودعوتهم للتوبة بالكلمة الطيبة الحسنة، واستخدام الترغيب لا الترهيب، والأخذ بأيديهم للرجوع إلى الله تعالى بالحسنى، والدعاء لهم بالغيب، فذلك أسلم لدين المرء وقلبه.

# إنه الأزهر...وقالوا عنه!

***قُم في فم الدنيا وحي الأزهرا * وانثُر على سمع الزمان الجوهرا***

***واذكره بعد المسجدين معظِّما * لمساجد الله الثلاث مكبرا***

***واخشع مليا واقض حق أئمة * طلعوا به زُهرا وماجوا أبحُرا***

***كانوا أجل من الملوك جلالة * وأعز سلطانا وأفخم مظهرا***

لا ينكر فضل الأزهر المعمور إلا جاهلٌ أو حاقد، ولا ينقص من قدر ويسيئ إليه إلا جاهلٌ أو سفيه، فإن الأزهر الشريف مثله مثل الشمس تبدوا ظاهرةً جلية لكل ذي بصرٍ وعقل، ولكن كيف لأعمى أن يراها أو يعقلها.

ولم يدافع عن الإسلام والشريعة على مر التاريخ أحدٌ مثلما فعل الأزهر، ولم يَسعَ لنصرة المظلومين وإعلاء كلمة الله تعالى مثل

الأزهر، ولم يَسعَ لنشر العلم والهداية بين الناس مثل الأزهر، والبراهين والدلائل التاريخية على ذلك أكثر من أن تحصى.

ولقد ابتلانا الله ﷻ بفئةٍ من جُهَّال الناس، الذين أصابهم الضلال وقاموا بتضليل غيرهم، ومن ضلالهم أنهم يسيئون للأزهر ويقدحون فيه وفي علماءه الأجلاء

وما بلغت هذه الفئة الضالة في العلم والتقوى عشر معشار ما بلغه هؤلاء العلماء، فمثلهم مثل الأقزام الذين يحاولون مناطحة الجبال الشُمّ.

والأزهر المعمور من قديم عهده وهو يتعرض لمثل هذه التهجمات والتشنيعات الفاسدة، وهو شامخٌ راسٍ لا يتأثر ولا يدفعه ذلك للرجوع عن أداء دوره الديني، ورسالته العلمية العريقة.

وإن الذين يقومون بمهاجمة الأزهر ويقومون بتشويه سمعته، لا يقصدون إلا أسماع العوام من الناس، ومن ليس لديهم أدوات

العلم والترجيح العقلي والفكري، فيصيبون عند هؤلاء أغراضهم وأهدافهم.

إلا أن الله سبحانه يُقَيِّض لهم من يَجلوا لهؤلاء العامة بصائرهم، ويضع نصب أعينهم الصورة الصحيحة للأوضاع، لأن الفئة الضالة تتخذ كل الوسائل لطمس الحقائق.

ومن ضمن هذه الوسائل أنهم يطعنون في علماء الأزهر، وفي المناهج العلمية التي تدرس فيه، ويطعنون كذلك في العاملين والدارسين فيه.

ولنناقش معاً ذلك الأسلوب ونرد على نقاط طعنهم في الأزهر

**أولاً: العلماء**

فهم يقومون بالطعن فيهم لعدة أسباب مختلفة، ويصلون في النهاية إلى أن العلماء صاروا بهذه الصورة الممقوتة -في نظرهم هم فقط- لأنهم تعلموا في الأزهر وبذلك يطعنون في الأزهر.

ومن ضمن أسباب طعنهم في العلماء المخالفة معهم في العقيدة والأفكار والمذاهب والتوجهات، مثل أن يكون العالم أشعري المعتقد مالكي المذهب، ويظهر لنا بذلك كيف أن هؤلاء الطاعنون ضيقوا الأفق محدودي التفكير .

كما أنهم يقومون بالطعن في هؤلاء العلماء، للكثير من الأغراض والأهواء الشخصية عندهم، والنقد الذي يوجهونه لهم خالٍ تماماً من الحيادية، والمنهجية العلمية الأخلاقية في النقد والتحليل.

فإذا ما بائت هذه المحاولات بالفشل، يقومون برمي العلماء بأنهم يتقربون إلى أولياء الأمور، ومن بيدهم السطلة والحكم والنفوذ في البلاد، وأنهم يبيعون دينهم وعلمهم بدنياهم

والحق أن غالب من عرفناهم من علماء الأزهر الشريف، ومن تم رميهم بهذه التهمة، أثبتت الأيام برائتهم منها.

**ثانياً: المناهج التعليمية في الأزهر**

فإنهم كانوا ولا زالوا يرمون مناهج الأزهر بالتطرف، ونشر الفكر المتطرف والعنيف بين الناس، وزرعه في عقول الطلاب والدارسين

مما يجعلهم فيما بعد أهلاً لتكوين أو الانضمام لجماعات إرهابية متطرفة، وهذا بهتانٌ عظيم نعوذ بالله تعالى منه.

إن هؤلاء الذين يرمون مناهج الأزهر الشريف بهذه التهم، إما حاقدون تم تسليطهم على الأزهر وإما مغيبون تم التلاعب بعقولهم وأفكارهم، وإما أناسٌ فهموا النصوص الشرعية بمعانٍ غير التي جائت بها وقصدتها.

**وهم على أنواع**

فهناك نوعٌ قام بالسماع ممن يظن أنه أكثر منه علماً ودرايةً، ويأخذ كلامه بثقة وأنه القول الفصل، وعلى هذا الأساس يرمي بالتهم بدون علمٍ وإدراك.

فهذا مسكينٌ بلغ من الحمق والجهالة مبلغاً يستحق الشفقة، إذ لا يوجد عاقل يهرف بما لا يتيقن من صدقه، وللأسف قد أوقع نفسه في دائرة من قال فيهم الرسول الكريم ﷺ "كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما يسمع".

**أما النوع الآخر:**

فهو الذي يكون بالفعل على اطلاع على مناهج الأزهر الشريف الدراسية، ويكون ممن قاموا بدراستها، ولكنه يقوم بفعل ذلك بالاعتماد على نفسه فقط من الكتب مباشرةً

دون الرجوع إلى شيخٍ متخصص أو معلم، ليفهم عن طريقه معاني ما يقوم بدراسته على الوجه الصحيح.

وذلك يكون تكبراً منه وظناً أن الحاجة إلى الشيخ، تكون محصورة في فهم بعض معاني الألفاظ دون فهم المراد والمقصود منها، وهو بذلك واهم لأن الألفاظ كثيراً ما تخرج من معانيها الحقيقة إلى معانٍ أخرى مجازية، وكثيرا ما يراد باللفظ أكثر من معنىً واحد.

كما أن الألفاظ كانت فيما مضى لها مقاصد ومدلولات في زمن معين من الأزمنة، ومع تطور الأزمنة تدل هذه الألفاظ على معانٍ ومقاصد مختلفة.

فمثلاً كلمة "باشا" منذ مائة عام كانت لا تطلق إلا على صاحب قدرٍ وجاهٍ كبيرين في الدولة، أما الآن إذا أطلقت فيراد منها معانٍ مختلفة منها التهكم والسخرية، ومن هنا أتى الجهل والخطأ.

وتم رمي مناهج الأزهر الشريف وكتب التراث بالعقم والتخلف وعدم مواكبة العصر، ونشر الفكر المتطرف وزراعته في عقول الدارسين، وهي من كل ذلك براء.

**وأخيراً الذين يعملون في الأزهر الشريف:**

الذين يعملون في الأزهر الشريف المعنيون بالهجوم، إما المحاضرون في الجامعة أو المعلمون في المعاهد الدينية، أو الموظفون الإداريون هنا أو هناك.

أو الذين يتصدرون للفتوى بين الناس، وكل الهجوم يتلخص في نقطة واحدة، وهي كونهم على أخلاقٍ ومعاملات مخالفة تماماً لتعاليم المعاملات الإسلامية، التي أُمرنا بها وتعلمناها في الأزهر الشريف.

**وللرد على ذلك أقول:**

إن كل فئة من الناس دوماً يكون فيهم الصالح والطالح، وأن بني الإنسان لا بد أن يتواجد بينهم المطيع والعاصي لله، والعاملون في الأزهر الشريف ليسوا ممن عصمهم الله تعالى من الأنبياء، أو حفظهم من الأولياء.

وكون أحد العاملين كان على خلقٍ دميم فهذا خطأه هو وذنبه هو لا ذنب الأزهر، والأزهر ليس رقيباً على الناس، وكل من كان مسيئاً للأزهر من قديم الزمان حتى من العلماء

قد نسيه الزمان وطوى صفحته ولم يبق لنا إلا ذكر الصالحين منهم، إلا أن الطالحين لابد من تواجدهم في كل زمانٍ ومكان، فهذه هي سنة الله في خلقه، ولا تبديل لسنة الله.

# الشعر الفصيح والعامي بين الأصالة والحداثة

## نشأة الشعر الفصيح

كانت نشأة الشعر الفصيح مع نشأة اللغة العربية، أما نشأة اللغة بشكلٍ عام كانت نتيجةً لحاجة الإنسان إلى ما يعبر به عن رغباته ومكنونات نفسه.

فنجد أولى هذه المحاولات في قديم الزمن متمثلةً في النقوش والصور على العظام والصخور والأشجار.

وقد جرت سنة الله في خلقه بالتطور الدائم والترقي، فصارت هذه النقوش أكثر دقةً وأوضح مفهوماً، والشعر بشكلٍ خاص كان لغةَ الوجدان.

ودائما ما يكون مقروناً بالمشاعر التي تتملك الإنسان في تلك اللحظة، فتارة يكتب فرحاً وتارة يكتب حزناً وتارةً يكتب غضباً، ثم تطورت هذه المشاعر فكان لها مسميات.

فعندما تكون القصيدة مشتملةً على مشاعر الحزن وذكر الموت يسمى هذا رثاءاً، وعندما تكون مشتملةً على ذكر المناقب والمآثر الشخصية أو القومية يسمى هذا فخراً

وعندما تكون مشتملةً على ذكر المثالب والعيوب يسمى هذا هجواً أو هجاءاً، وهناك الكثير والكثير من المسميات المختلفة لاختلاف الأغراض.

وهناك أممٌ وحضاراتٌ كثيرةٌ عرفت الشعر ومارسته منذ قديم الأزل بطريقتها الخاصة، أمثال الحضارة اليونانية وشاعرهم الكبير هوميروس وملحمتيه الإلياذة والأوديسا.

وبالطبع كان من أبرز هذه الحضارات الحضارة العربية، لما تميزت به اللغة العربية من تعددٍ في الألفاظ التي تحمل معاني متفقة، ولما تميزت به أيضاً من تناغمٍ صوتي وإيقاع موسيقي يأسر الوجدان ويحرك المشاعر .

**نشأة الشعر العامي**

أما الشعر العامي، فقد كان نتاجاً لتردي اللغة الفصحى في عهد أبناء محمد علي، والظروف القاسية والمؤلمة التي عانى منها الشعب وصعوبة التعليم الجيد

مما أدى إلى ندرة العارفين المتقنين للغة والأدب، ولولا أن حفظ الله اللغة العربية في مصر بالأزهر الشريف، لكانت الطامة الكبرى

ولكن في بوادر النهضة الأدبية الكبرى التي حصلت في مصر، بداية بـ محمود سامي البارودي ومدرسته المحافظة، والخطباء أمثال الشيخ محمد عبده وعبد الله النديم، ومدارس التجديد والشعر الحر ومن تلاهم كأحمد شوقي وحافظ إبراهيم وحفني ناصف.

قد تحسن الشعر العامي بشكلٍ ملحوظ ولقى رواجاً كبيراً بين فئات الشعب المصري والعربي، حيث أنه كان أقرب إلى الأفهام ولكن ظلت الغلبة في جانب الشعر الفصيح.

وتطور هذا اللون من ألوان الشعر إلى أن رأينا فيه شعراء مبرزين، لهم بصمة كبيرة في ذاكرة الشعب المصري، أمثال عبدالرحمن الأبنودي -رحمه الله-

وحكايات أبو زيد الهلالي، والشاعر الكبير فاروق جويدة وهشام الجخ وأشعاره الوطنية التي عاصرت أحداث ٢٥ يناير .

**نماذج الشعر الفصيح قديما وحديثا**

ومن أفضل النماذج للشعر الفصيح قديماً قول عنترة ابن شداد :

***وأغض طرفي ما بدت لي جارتي * حتى يواري جارتي مأواها***

***إني امرؤ سمح الخليقة ماجد * لا أتبع النفس اللجوج هواها***

ذلك البيت الذي استحسنه رسول الله ﷺ، وبسببه تمنى لو لقي عنترة.

وأيضا قول الصحابي الجليل عبدالله بن رواحة

***اللهم لولا أنت ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا * فأنزلن سكينة علينا***

***وثبت الأقدام إن لاقينا * إن الألى قد بغوا علينا * وإن أرادوا فتنة أبينا***

ومن أفضل نماذجه في العصر الحديث، نهج البردة لأحمد شوقي :

***ريم على القاع بين البان والعلم * أحل سفك دمي في الأشهر الحرم***

***رمى القضاء بعيني جؤذر أسد * يا ساكن القاع أدرك ساكن الأجم***

وأيضا قول حافظ إبراهيم :

***الأم مدرسة إذا أعددتها * أعددت شعبا طيب الأعراق***

***الأم روض إن تعهده الحيا * بالري أورق أيما إيراق***

وما تميزت به هذه النماذج من دقةٍ في التركيب وتناسقٍ في الألفاظ والعبارات والنغم الموسيقي، وجزالة الألفاظ وفصاحتها

**نماذج الشعر العامي**

وإذا أردنا أن نمثل لبعض أشعار العامية، فإن أول ما يخطر بالبال قصائد الراحل الكبير عبدالرحمن الأبنودي ومن أفضل قصائده :

***خرج الشتا وهلّت روايح الصيف***

***والسجن دلوقتى يرد الكيف***

***مانتيش غريبة يا بلدى ومانيش ضيف***

***لو كان بتفهمى الأصول***

***لتوقفى سير الشموس***

***وتعطلى الفصول***

ونجد أيضا مثل هذه البساطة والمشاعر عند الشاعر الكبير فاروق جويدة، ومن أفضل أشعاره :

***و تشدنا الأيام في وسط الزحام***

***فنتوه بين الناس بالأمل الغريق***

***و نسير نحمل جرحنا الدامي العميق***

***و نظل نبحث في الزحام عن العهود الراحلة***

***كالطير تبحث في الشتاء عن الصغار***

***الليل و الألم الجريء و لوعة الشكوى***

***و طول الانتظار***

وأيضاً الشاعر المتميز هشام الجخ ووطنياته الرائعة التي تدل على مشاعر جياشة من المحبة لأهله ووطنه ومن أفضل قصائده :

***لا كنا نعرف (ألف) ولا كنا نعرف (ب)***

***ولا شفنا عمرنا نور غير لما قمرك جه***

***وفضلتي رمز الأمان والناس مالقياش وطن***

***وزرعتي قمح وغيطان وغلبتي كل المحن***

***اقف انتباه يا زمان مصر الأبية أهي***

***ولا كنا نعرف (ألف) ولا كنا نعرف (ب)***

**الخلاصة**

والخلاصة أن شعر الفصحى محبوب ومطلوب، ولاغنى لنا عنه فهو الوصلة بيننا وبين تاريخ اللغة القديم، بما فيه جزالة ورقة وعذوبة وقوة.

أما شعر العامية عبارة عن تطور طبيعي لأي لغة قومية وهو أيضا مرغوبٌ فيه، لما فيه من بساطة وسرعة وصول إلى الأفهام، ولكن لا يجب أن يطغى الفصيح على العامي ولا العامي على الفصيح.

وبعد أن أوردنا النماذج السابقة نجد أن الشعر العامي لابأس به، بل هو أكثر اتساعا للأغراض والمشاعر والأحاسيس، فلا داعي للتقليل من شأنه والنفور منه بدعوة أنه هدم لتراثنا العريق ولغتنا العظيمة .

# دع الأيام (شرح وبيان)

**قال هذه القصيدة: الإمام الشافعي رحمه الله.**

***دَعِ الأَيَّامَ تَفْعَل مَا تَشَاءُ * وطب نفساً إذا حكمَ القضاءُ***

***وَلا تَجْزَعْ لنازلة الليالي * فما لحوادثِ الدنيا بقاءُ***

يدعوا الإمام رحمه الله إلى أن يتخلق الإنسان بالرضا ويُدَرِّب نفسه على الصبر والتحمل، فيقول:

دع يا عبد الله الأيام لتفعل ما شاء الله فيها أن يُفعَل، وكن راضياً طيب النفس بحكم قضاء الله عليك وعلى الناس فهذا وصف المؤمن بالله

ولا تجزع أي: يصيبك الإكتئاب والإستسلام بسبب نوازل أي: حوادث ومصائب الليالي، فليست هذه الحوادث أبدية ودائمة وليس لها بقاء.

***وكنْ رجلاً على الأهوالِ جلداً * وشيمتكَ السماحةُ والوفاءُ***

***وإنْ كثرتْ عيوبكَ في البرايا * وسَركَ أَنْ يَكُونَ لَها غِطَاءُ***

***تَسَتَّرْ بِالسَّخَاء فَكُلُّ عَيْب * يغطيه كما قيلَ السَّخاءُ***

وكن يا عبد الله متصفاً بصفات الرجال من قوةٍ ورباطةِ جأشٍ وقدرةٍ على الصمود والتحمل، في مقابلة الأهوال أي: الأحداث التي تذهلك وتشعرك بمدى خطورتها، فكن متجلداً في مواجهتها ولتكن السماحة والوفاء من أخلاقك وشيمك.

فإن صعوبات الأيام قد تُنسِي الناس مكارم أخلاقهم، وإن كنت ممن ابتلاهم الله بالنقص والعيب والتقصير وليس لديك الهمة لتلافي كل ذلك بعد وأحببت أن يكون لك سترٌ وغطاء، فعليك بالسخاء والكرم في كل شئ فإن من أفضاله أنه يستر العيوب والنقائص.

***ولا تُرِ للأعادي قط ذلا * فإن شماتة الأعدا بلاء***

***ولا ترجُ السماحةَ من بخيلٍ * فَما فِي النَّارِ لِلظْمآنِ مَاءُ***

وإن كنت ذا عقلٍ وفطنة فلا تجعل أعاديك يرون منك ذُلاً ومهانةً أبداً، ولا تجعل لهم سبيلاً ليشمتوا فيك وفي حالك مهما

أصابك من همٍّ وكرب، فإن شماتة الأعداء بلاءٌ شديد يصعب على المرء أن يتحمله.

كذلك لا تَرجُ السماحة والتودد وحسن الخلق من شخصٍ اتسم بالبخل، فحالك وحاله مثل حال الذي أصابه ظمأٌ ويرجوا أن يُروى وهو داخل نيران.

***وَرِزْقُكَ لَيْسَ يُنْقِصُهُ التَّأَنِّي * وليسَ يزيدُ في الرزقِ العناءُ***

***وَلا حُزْنٌ يَدُومُ وَلا سُرورٌ * ولا بؤسٌ عليكَ ولا رخاءُ***

***إذا ما كنت ذا قلب قنوعٍ * فأنت ومالك الدنيا سواء***

واعلم أن رزقك الذي قدره الله لك لا ينقص من قدره أن تتأنى في طلبه وتصبر، ولا تعجل إليه بالوسائل المحرمة وغير المشروعة، كذلك لا يزيد في رزقك العناد وجهود السعي المبالغ فيها.

ولكن اجتهد في تحصيل رزقك بالقدر الذي يناسبه وتوكل على الله ولا تبتأس، فليس يدوم على الإنسان حال سواءاً كان حزناً أم سروراً، سواءاً كان بؤساً أم شقاءاً، ولكن احرص على القناعة

بما يقسمه الله لك فإنك إن كنت صاحب قلبٍ قنوعٍ، فحال الرضا والراحة والخير الذي تكون فيه كحال من يملك الدنيا إن لم يزد عنه.

***وَمَنْ نَزَلَتْ بِسَاحَتِهِ الْمَنَايَا * فلا أرضٌ تقيهِ ولا سماءُ***

***وأرضُ الله واسعةً ولكن * إذا نزلَ القضا ضاقَ الفضاءُ***

***دَعِ الأَيَّامَ تَغْدِرُ كُلَّ حِينٍ * فما يغني عن الموت الدواءُ***

واعلم يا عبد الله أن الموت لازمٌ ومفروض ولا مهرب منه ولا مفر، فإن الذي نزلت بساحته المنايا أي: أسباب الموت ليس هناك أي أرضٍ تقيه منه وليس هناك سماء.

فبالرغم من أن أرض الله واسعة ورحبة وفسيحة، إلا أنه إذا نزل القضاء وحان وقته ضاق عليك من هو أوسع من الأرض وهو الفضاء أي: السماء، لذا دع الأيام وما تغدر به في كل وقتٍ وحين، فإن الدواء ليس له نفعٌ وليس يُرجى منه الشفاء، إذا ما كان مرضك هو الموت.

# الخير والشر (شرحٌ وبيان)

**قال هذه القصيدة: الشاعر أبو العتاهية رحمه الله.**

***الخَيرُ وَالشَرُّ عاداتٌ وَأَهواء * وَقَد يَكونُ مِنَ الأَحبابِ أَعداءُ***

***لِلحِلمِ شاهِدُ صِدقٍ حينَ ما غَضَبٌ * وَلِلحَليمِ عَنِ العَوراتِ إِغضاءُ***

ألوانٌ من الحِكَم والعِبَر يعلمنا إياها الشاعر الزاهد أبو العتاهية فيقول:

إن الخير والشر بين الناس، مرجعه إلى العادة التي يسببها الهوى، وتوفيق الله للعبد إما أن يجعل هواه طيباً صالحاً فيدعوه للخير، وإما أن يكون هواه خبيثاً فاسداً يدعوه إلى الشر والخراب

ومن ثَم فلا يحكم الإنسان على غيره لمجرد ما يظهر منه، فقد يكون للمرء أعداءاً كان يظنهم من أحبابه.

والحِلمُ خُلُقٌ كريم وهناك الكثير ممن يدعيه ولا دليل عليه، ولا شاهد صدقٍ له إلا ساعة الغضب، فهنا يظهر حلم الرجل إن كان حقاً أم إدعاءاً، فإن الرجل الحليم له دوماً عن عورات أي: أخطاء وزلات من حوله، إغضاء أي: تجاوزٌ وعفو.

***كُلٌّ لَهُ سَعيُهُ وَالسَعيُ مُختَلِفٌ * وَكُلُّ نَفسٍ لَها في سَعيِها شاءُ***

***لِكُلِّ داءٍ دَواءٌ عِندَ عالِمِهِ * مَن لَم يَكُن عالِماً لَم يَدرِ ما الداءُ***

وإن جميع بني الإنسان له رغبته الخاصة وسعيه الذي يسعى فيه ويرجوا الوصول إليه، وتختلف تلك المساعي باختلاف بني الإنسان، وكلٌ له في رغبته مشيئة خاصة ولا تكون إلا مشيئة الله.

ولكل داءٍ أي: مرضٍ يُصابُ الإنسان به دواءٌ عند الذي لديه علمٌ بهذا الداء، سواءاً كان في البدن أم في الروح والقلب، فعلى المريض أن يقصد العالم بمرضه، فمن لم يكن لديه علمٌ بأمراض الناس لن يكون لديه أي دواءٍ لأمراضهم.

***الحَمدُ لِلَّهِ يَقضي ما يَشاءُ وَلا * يُقضى عَلَيهِ وَما لِلخَلقِ ما شاؤو***

***الَم يُخلَقِ الخَلقُ إِلّا لِلفَناءِ مَعاً * نَفنى وَتَفنى أَحاديثٌ وَأَسماءُ***

فالحمد دائماً أبداً لذلك الإله القدير، الذي يقضي على عباده بما شاء وكيف يشاء، العليم بكل مخلوقاته الحكيم فيما يقدره عليهم من خيرٍ وشر يُقضى عليهم، وليس للخلق ما يشاؤون إلا إن وافقوا مشيئة الله سبحانه.

أليس هو الذي خلق الخلق ولم يكتب لهم البقاء خالدين في هذه الدنيا، بل قضى عليهم جميعاً بالفناء، فلا تبقى الأجساد ولا الأحاديث ولا الأسماء، كله يفنى ويبقى الله.

***يا بُعدَ مَن ماتَ مِمَّن كانَ يُلطِفُهُ * قامَت قِيامَتُهُ وَالناسُ أَحياءُ***

***يُقصي الخَليلُ أَخاهُ عِندَ ميتَتِهِ * وَكُلُّ مَن ماتَ أَقصَتهُ الأَخِلّاءُ***

فيا بُعد من مات أي: ما أشد غربته وأقسى وحدته، فقد ابتعد عن كل إنسانٍ كان يحبه ويتلطف له، وها هو الآن قد قامت قيامته والناس أحياءٌ يرزقون، فكل من فارق الحياة في هذه الدنيا قامت قيامته الخاصة به.

فهو يحاسب ويكون حياً في برزخٍ قد يكون نعيماً إن كان من أهل الصلاح والخير، وقد يكون جحيماً إن كان من أهل الفساد والشر، وإن الذي يموت يُقصِيه أي: يُبعِده ويبتعد عنه كل حبيبٍ وقريب حتى الأخوة، فالذي يموت يبتعد عنه الأخلاء أي: الأحباب.

***لَم تَبكِ نَفسَكَ أَيّامَ الحَياةِ لِما * تَخشى وَأَنتَ عَلى الأَمواتِ بَكّاءُ***

***أَستَغفِرُ اللَهَ مِن ذَنبي وَمِن سَرَفي * إِنّي وَإِن كُنتُ مَستوراً لَخَطّاءُ***

فيا للإنسان المسكين تمضي حياته بين لهوٍ ولعبٍ، وإقبالٍ على الدنيا وإدبارٍ عن الآخرة، ويخشى أن يضيع من بين يديه كل ذلك، وإذا ما مات أحدهم يبكي حزناً عليه

فإن حال الحياة التي تحياها الآن يا مسكين هو أولى بالبكاء الذي تبكيه على الأموات.

فعلى الإنسان ألا يغتر بطاعته ويتناسى معاصيه، فأستغفر الله على ما كان مني من ذنوبٍ وإسرافٍ للعمر فيما لا يرضي الله،

فإني وإن كنت مستوراً بين الناس لايدرون بمعصيتي، فإني كثير الخطأ في حق الله.

***لَم تَقتَحِم بي دَواعي النَفسِ مَعصيةً * إِلّا وَبَيني وَبَينَ النورِ ظَلماءُ***

***كَم راتِعٍ في ظِلالِ العَيشِ تَتبَعُهُ * مِنهُنَّ داهِيَةٌ تَرتَجُّ دَهياءُ***

فإن حالي كحال كل إنسان إذا ما غرته دواعي الهوى في نفسه إلى ارتكاب المعاصي والذنوب، فإنه في هذه الحال يكون بينه وبين نور الطاعة والهداية، ظلماءٌ شديدةٌ من شؤم هذه المعصية.

فعلى الإنسان أن يُغالِب نفسه ويردها عن العصيان، فكم من إنسانٍ يرتع أي: يمرح ويرغد في ظلال العيش بدون أن يوفي الخالق حقه عليه

وهو غافلٌ مسكين لا يدري أن هناك داهيةٌ أي: طاغيةٌ شديدةٌ، من هذه الظلماء تتبعه وتوجهه فهي دهياء أي: شديدة الخطورة.

***وَلِلحَوادِثِ ساعاتٌ مُصَرِفَةٌ * فيهِنَّ لِلحَينِ إِدناءٌ وَإِقصاءُ***

***كُلٌّ يُنَقَّلُ في ضيقٍ وَفي سَعَةٍ * وَلِلزَمانِ بِهِ شَدٌّ وَإِرخاءُ***

وإن سنة الله في الكون قضت أن لايدوم حالٌ من الأحوال، فحوادث الأيام أي: صعوباتها ومصائبها ما هي إلا ساعاتٌ لا بد أن تنصرف.

ويكون فيها لحين أي: أجل الإنسان إدناءٌ أي: تقريب وإقصاء أي: مباعدة، فكل إنسانٍ في هذه الدنيا تتقلب أحواله وتتنقل ما بين ضيقٍ وسعة

وللزمان دوماً في كل حين شدٌّ أي: شدة وصعوبة، كما يكون له إرخاء أي: سعة ورخاء.

# أتاني أبيت اللعن (شرحٌ وبيان)

**قال هذه القصيدة: النابغة الذبياني.**

***أتاني أبيتَ اللعنَ أنكَ لمتني * و تلكَ التي أهتمّ منها وأنصبُ***

***فبتُّ كأنّ العائداتِ فرشن لي * هراساً به يُعلى فِراشي ويُقْشَبُ***

أبيت اللعن: تحية من تحيات الناس لبعضهم في أيام الجاهلية، ومعناها أبيت أيها الفاضل أن تأتي بفعل تستحق اللعن عليه، فأنت حريصٌ على الفضائل والمكارم.

فالنابغة يبدأ حديثه مع النعمان ويحييه ثم يقول:

أتاي أبيت اللعن أي: وصل إلي مسامعي خبرٌ، مفاده أنك قمت بتوجيه اللوم لي على ذنبٍ لم أقترفه، وهذا اللوم بالنسبة لي هو المصيبة التي يصيبني الهم منها والنصب أي: التعب، فقد بِتُّ أي: قضيت ليلتي تلك وحالي لا يسر.

فقد كنت كأن العائدات أي: من يزرن المرضى، قد أتين وفرشن لي هَرَاساً أي: فِراشاً من الشوك يُعلَى به فراشي ويقشب أي: يتجدد ويتفرع في جميع أنحاء الفراش الذي انام عليه، فيا لها من ليلة قضيتها.

***حَلَفْتُ، فلم أترُكْ لنَفسِكَ ريبَةً * وليسَ وراءَ اللَّهِ للمَرْءِ مَذهَبُ***

***لئنْ كنتَ قد بُلغتَ عني وشايةً * لَمُبْلُغُكَ الواشي أغَشُّ وأكذَبُ***

وقد حلفت وأقسمت على عدم ارتكابي لأي ذنبٍ في حقك، حتى لا يبقى في نفسك أي مقدارٍ للريبة، ولست بالذي يقسم بالله متخذاً القسم وسيلة للهروب من الذنب، فأين أذهب بعد وليس بعد الله ملجأ ولا مذهب.

وإذ أقسمتُ لك بذلك فإنني أقسم وأؤكد أن ذلك الواشي الذي وشى بي عندك، وأوغر علي صدرك لهو الأغش، إذ غشك في نصحه ومشاورته وهو الأكذب، إذ قال على لساني ما لم أنطق به.

***ولكنني كنتُ امرأً ليَ جانبٌ * منَ الأرضِ فيه مستَرادٌ ومطلب***

***مُلوكٌ وإخوانٌ إذا ما أتَيتُهُمْ * أحكمُ في أموالـهِمْ وأُقرّبُ***

ولكنني أريدك أيها الملك أن تعلم أنني كنت أمرأً لي في الأرض جانبٌ كبير من السعة في الحياة والرغد في العيش، حتى أن جانبي ذلك فيه مُسترَاد ومطلب أي: ذهابٌ وإياب.

فقد كنت أحظى برعاية ملوكٍ وإخوانٍ كلما أتيتهم وحللت عندهم، كنت من ثقتهم في شخصي وإكرامهم لي أُحَكَّمُ في أموالهم التي يملكونها، وأكون من المقربين عندهم وأصحاب الحظوة لديهم.

***كفعلكَ في قومٍ أراكَ اصطفيتهم * فلم ترَهُمْ في شكر ذلك أذْنَبُوا***

***فلا تتركني بالوعيدِ كأنني * إلى النّاسِ مَطليٌّ به القارُ أجْرَبُ***

وأفعال هؤلاء الملوك والإخوان معي مثل أفعالك مع قومٍ، قد اصطفيتهم لصحبتك وأنلتهم شرف القرب منك وأعني نفسي بذلك، قبل أن تكون الفرقة بيننا، وهؤلاء القوم الذين قربتهم إليك لم تَرَ منهم أي برهانٍ على أنهم أذنبوا في حق هذه النعمة وأنهم جحدوا فضلك وإكرامك.

فلا تتركني مهدداً بالوعيد الذي تتوعدني به، الذي جعل الناس ينفرون مني ويغيبون عني وعن صحبتي، كأنني بعيرٌ أصابه الجرب فنبذه أصحابه عن باقي القطيع حتى لا يعديهم، وقاموا بطلائه بالقار أي: القطران.

***ألَمْ ترَ أنّ اللهَ أعطاكَ سورةً * ترى كلّ مَلْكٍ دونَها،يتذَبذَبُ***

***فإنكَ شمسٌ والملوكُ كواكبٌ * إذا طلعتْ لم يبدُ منهنّ كوكبُ***

فيا أيها الملك الكريم إني أدعوك إلى أن تنظر للمواهب التي أُعطِيت لك، إنك إن فعلت ستجد الكثير من المكارم، ألم ترى أن الله قد وهبك وأعطاك سورةً أي: مكانةً عالية الشأن، ترى كل ملكٍ غيرك يتذبذب أي: يضطرب تجاهها إذ لم تكن في خاطره وحسبانه.

وذلك لأنك أيها الملك مثل الشمس في الرفعة والفضل، وسائر الملوك غيرك مثل الكواكب والكوكب لا يضاهي الشمس رفعةً ومكانةً، فإنك أيها الملك إذا طلعت وظهرت لم يكن لهم أي ظهورٍ أو وجود.

***و لستَ بمستبقٍ أخاً لا تلمهُ * على شَعَثٍ، أيُّ الّرجال المُهَذَّبُ؟***

***فإنْ أكُ مظلوماً فعبدٌ ظلمتهُ * وإنْ تكُ ذا عُتَبى فمثلُك يُعتِبُ***

ويا أيها الملك إني أدعوك إلى الحكمة التي عُرفتَ بها، فإنني إن كُنتُ صاحب عيوبٍ ومثالبَ، فإنك لا تجد في هذه الدنياً أخاً أو صديقاً إلا وفيه عيب.

فإنك إن أردت أخاً لا عيب فيه فلن تستبقي عندك أي أحدٍ من إخوانك وخلانك، فمن من الناس هو المهذب؟ أي: الكامل الخالي من العيوب.

واعلم أيها الملك أنني إن كنت مظلوماً فلست إلا كأحد العبيد أصابته مظلمةٌ من سيده فلا عليك، وإنك إن كنت تُعتِبُني أي: تعفوا عن ذنبي وخطأي، فمثلك جديرٌ بهذا الخلق ومثلك يُعتِبُ.

# قصيدة صِلةُ الخيال (شرحٌ وبيان)

**قال هذه القصيدة محمود سامي البارودي باشا عليه رحمة الله**

***صِلَةُ الْخَيَالِ عَلَى الْبِعَادِ لِقَاءُ * لَوْ كانَ يَمْلِكُ عَيْنِيَ الإِغْفَاءُ***

***يا هاجِري مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ فِي الْهَوَى * مَهْلاً فَهَجْرُكَ والْمَنُونُ سَواءُ***

إن الصلة واللقاء الناجمين عن زيارة طيف خيال الحبيب، هما بمثابة اللقاء بعد الشوق والابتعاد، ولكن من لي بهذه الصلة وعيني ساهرةٌ لا تنام، أتمنى لو كان الإغفاء أي: النوم يتملك منها ويجعلها تحت حكمه فيزورني طيف الحبيب.

لذا أيها الحبيب الذي هجرني من غير أن يكون لي ذنبٌ غير عشقه وهواه، مهلاً عليَّ فإن هجرك ذاك عندي بنفس مكانة الموت لا فرق بينهما، لأن الموت إن كان يبعدنا عن الدنيا فهجرك لي كذلك.

***أَغْرَيْتَ لَحْظَكَ بالْفُؤادِ فَشَقَّهُ * ومِنَ الْعُيُونِ عَلَى النُّفُوسِ بَلاءُ***

***هِيَ نَظْرَةٌ فامْنُنْ عَلَي بِأُخْتِها * فالْخَمْرُ مِنْ أَلَمِ الْخُمارِ شِفَاءُ***

وأنت أيها الحبيب قد قمت بإغراء لحظك أي: نظراتك الساحرة الفاتنة ورغبتها بفؤادي، فما كان من لحظك إلا أنه شَفَّه أي: أضعفه وأوهنه فما أعجب ذلك.

وقد اتضح لي أن النفوس قد يكون عليها من العيون بلاء أي: عذابٌ ومِحَن، وإنني لا أطلب منك الكثير، فكل ما أرجوه أن تتبع نظرتك السابقة التي أوهنت فؤادي بنظرةٍ أختها.

فإنها وحالي مثل الذي أصابه ألم برأسه نتيجة الخُمار أي: السكر، ولا علاج له إلا أن يشرب الخمر مرة أخرى، كذلك أنا لا علاج لضعف فؤادي إلا نظرةٌ أخرى.

***أَنا مِنْكَ مَطْوِيُّ الْفُؤادِ عَلَى جَوىً * لَوْلا الْدُّمُوعُ ذَكَتْ بِهِ الْحَوْبَاءُ***

***لا أَنْتَ تَرْحَمُنِي ولا نَارُ الْهَوَى * تَخْبُو وَلاَ للنَّفْسِ عَنْكَ عَزاءُ***

***فانْظُرْ إِلَيَّ تَجِدْ خَيَالَةَ صُورَةٍ * لم يَبْقَ فيها للحياةِ ذَمَاءُ***

أنا في حالتي هذه قد انطوى قلبي أي احتوى بداخله، جوىً أي: نيران ولهيب العشق والشوق، التي تشتعل بداخلي ولا يهنأ لي

معها بال، ولا يخفف عني إلا الدموع التي ذَكَت أي: جادت بها الحوباءُ أي: روحي.

وبالرغم من ذلك أيها الحبيب فأنت لا تأخذك بي رحمة كذلك نيران الهوى أي: العشق والغرام لا ترحمني، لأنها لا تخبو أي: تهدأ وليس لنفسي عزاءٌ عن شوقي إليك ومحبتي لك.

وإن كُنتَ لا تصدقني فانظر إلى حالي تجد أمامك خيالة صورة أي: بقية من صورتي، لم يبق فيها من رمق الحياة ذَمَاءُ أي: حركة وبقية نفس.

***رَقَّتْ لِيَ الْوَرْقَاءُ فِي عَذَباتِها * وبَكَتْ عَلَيَّ بِدَمْعِهَا الأَنْدَاءُ***

***وَتَحَدَّثَتْ رُسُلُ النَّسِيمِ بِلَوْعَتِي * فَلِكُلِّ غُصْنٍ نَحْوَها إِصْغَاءُ***

انظر حتى لقد رَقَّت لي الوَرقَاء أي: الحمامت التي في لونها سوادٌ وبياض، وهي كامنةٌ على عَذَبَاتِها أي: أغصان الأشجار، وليس هي فقط فقد شاركها الندى أي: المطر الرقيق فلم ينزل إلا بكاءاً على حالي وإشفاقاً علي.

وقد تحدثت رسل النسيم أي: الهواء الطيب وأخبرت الكائنات بلوعتي، فكان الإصغاء والإنصات هو حال كل غُصنٍ من أغصان الشجر.

***كَلَفٌ تَنَاقَلَهُ الْحَمائمَ عَنِ الصَّبَا * فصَبَتْ إِلَيْهِ الْغِيدُ والشُّعَراءُ***

***فَبِقَلْبِ كُلِّ فَتىً غَرامٌ كامِنٌ * وبِعِطْفِ كُلِّ مَلِيحَةٍ خُيَلاءُ***

فالمعاناة التي أمر بها والأعاصير التي تعصف بداخلي ما هي إلا كَلَفٌ أي: عناءٌ سببه العشق والغرام، وقد تناقله ورواه الحمام وسمعه من الصبا وهي الريح الطيبة التي تهب من مشرق الشمس.

فعندما سمع الناس عن هذا الغرام صبا إليه أي: أُعجِب به وأحبه الشعراء والغِيدُ أي: النساء الحسناوات، وكلاهما ممن يقدر أحاديث العشق والغرام.

ولا عجب فإن في قلبٍ كل فتىً حكاية غرامٍ كامنةً بداخله، وبِعِطفِ أي: جانب كل امرأة مليحةٍ خيلاء أي: تكبر وإعجاب

بالنفس، لما للمليحة من جمال يتغنى به الشعراء ويهيم به العاشقون.

***فَدَعِ التَّكَهُّنَ يا طَبِيبُ فإنَّمَا * دائِي الْهَوَى ولِكُلِّ نَفْسٍ داءُ***

***أَلَمُ الصَّبَابَةِ لَذَّةٌ تَحْيَا بِها * نَفْسِي وَدَائِي لَوْ عَلِمْتَ دَواءُ***

لذا أيها الطبيب الذي أتيت لمعالجتي، دع عنك ما تقوم به من محاولات لتعرف ما المرض الذي أصابني وأوهن جسدي وذهب بعافيتي، ووَفِّر الجهد والعناء على نفسك فإنما دائي هو الهوى أي: العشق والغرام.

وكل النفوس لا بد لها من مثل ذلك الداء أي: المرض، ولكن الألم الذي يصاحبه جرَّاء الصبابة أي: شدة الشوق للمحبوب والرغبة في لقائه، فيه لذة تحيا بها نفسي العاشقة، لذا فإن دائي الذي أعاني منه هو نفسه دوائي لو كُنتَ تفقه ما أقول وتعلمه.

***وبِمُهْجَتِي رَشَئِيَّةٌ مِنْ دُونِها * أُسُدٌ لَهَا قَصَبُ الرِّمَاحِ أَبَاءُ***

***هَيْفَاءُ مالَ بِهَا النَّعِيمُ فَخَطْوُها * دُونَ الْقَطَاةِ ونُطْقُها إِيمَاءُ***

***تَرْنُو بِأَحْوَرَ لَوْ تَمَكَّنَ لَحْظُهُ * مِنْ صَخْرَةٍ لَارْفَضَّ مِنها الماءُ***

ويسكن داخل مهجتي أي: روحي رَشَأٌ أي: فتاةٌ هي مثل صغير الغزال في رقته وجماله، وقد بلغت من حسنها أنه يقف بين الرجال وبين الوصول إليه أُسدٌ أي: رجال أشداء، يقومون بحراستها ولهم رماحٌ عالية شديدة.

وهذه الحسناء هيفاء أي: بها رقة شديدة قد غمرها النعيم ورغد العيش، وقد بلغت من رقتها أنك عندما تراها وهي تمشي تجد خطواتها أكثر رقةً وخفةً من خطوة القطاة، وهو: طائر مثل الحمام.

كما أن كلامها لا يزيد عن أن يكون إيماءات من خجلها ورقتها، وهذه الحسناء ترنو أي: تنظر بأحور أي: عينين شديدتا البياض والسواد، هاتان العينان لو تمكن لحظهما أي: ثاقب نظرهما من صخرةٍ لانفلقت هذه الصخرة، وارفَضَّ منها الماء أي: خرج منها يسيل.

***حَكَمَ الجَمالُ لها بِمَا تَخْتَارُهُ * فَتَحَكَّمَتْ فِي النَّاسِ كَيفَ تَشاءُ***

***غَضِبَتْ عَلَيَّ وَما جَنَيتُ وَرُبَّما * حَمَلَ الْمَشُوقُ الذَّنْبَ وَهوَ بَراءُ***

إن هذه المرأة الحسناء الفاتنة، قد حكم لها الجمال بأن لها الحق في نيل أي شئ تختاره والجمال يفعل بالناس فعل السحر، لذلك تحكمت فيمن حولها من الناس كيفما شائت وأرادت.

وقد غضبت علي وما جَنيتُ شيئا من الذنوب يستوجب ذلك الغضب ويستوجب تلك العقوبة، لكن ربما يحمل العاشق المشتاق الذنب والخطأ وهو برئ.

***طافَ الوُشاةُ بِها فَكانَ لِقَوْلِهِمْ * في مِسْمَعَيْها رَنَّةٌ وحُداءُ***

***لَوْلا النَّمِيمَةُ لم يَقَعْ بَيْنَ امْرِئٍ * وأَخِيهِ مِنْ بَعْدِ الْوِدادِ عِداءُ***

وقد طاف من حولها الوشاة أي: الذين يسعون بالشر والفتنة بين الناس، وأوغروا عَليَّ صدرها وقد كانت للأسف متقبلةً لقولهم ووشاياتهم، فكان قولهم في مسمعيها وتقبله مثل الحداء وهو: الغناء للإبل وهي تسير.

ولولا النميمة أي: نقل القول بما يتسبب بالفساد والخصومة، تلك النميمة التي تنتقل بين الناس وتتسبب في تفرقهم وخصامهم وقتالهم لبعضهم البعض ما كان ليقع بين المرء وأخيه عداءٌ وجفاءٌ وفُرقة من بعد ما كان هناك الود والمحبة والإخاء

***أَشَقِيقَةَ الْقَمَرَيْنِ أَيُّ وَسِيلَةٍ * تُدْنِي إِلَيكِ فَلَيْس لِي شُفَعَاءُ***

***جُودِي عَلَيَّ ولَوْ بِوَعْدٍ كاذِبٍ * فالْوَعْدُ فيهِ تَعِلَّةٌ ورَجَاءُ***

***وَثِقِي بِكِتْمَانِ الْحَدِيثِ فإِنَّمَا * شَفَتَاي خَتْمٌ والْفُؤادُ وِعاءُ***

فيا من هي شديدة الحسن والجمال، حتى أنها كانت شقيقة للقمرين أي: الشمس والقمر من شدة حسنها وسنائها، أخبريني يا شقيقة القمرين أي وسيلة أسعى بها تدنيني أي: تقربني إليك.

فليس لي شفعاءٌ يشفعون لي عندك، فهلا جدتي علي بوعدٍ للوصال والتداني حتى وإن كان وعداً كاذباً، فالوعد بالوصال فيه تَعِلَّةٌ أي: شفاءٌ وتصبرٌ ورجاء يحيا به قلبي.

ولا تقلقي وتظني أن حديثك معي قد يطلع عليه أحد، بل هو في طي الكتمان ففؤادي وعاءٌ لهذا الحديث، وشفتاي ختم هذا الوعاء

***لا تَرْهَبِي قَوْلَ الْوُشاةِ فإنَّهُمْ * قَدْ أَحْسَنُوا فِي الْقَوْلِ حِينَ أَساءُوا***

***زَعَمُوكِ شَمْسَاً لا تَلُوحُ بظُلْمَةٍ * ولِقَولِهِمْ عِنْدِي يَدٌ بَيْضاءُ***

***فَعَلامَ تَخْشَيْنَ الزِّيارَةَ بعدَما * أَمِنَ ازْدِيارَكِ فِي الدُّجَى الرُّقَباءُ***

فإن كانت جفوتك وقطيعتك لي خشيةً من قول الوشاة فلا ترهبي ذلك الفعل منهم، فإنهم قد أحسنوا إلينا بفعلهم الذي هو عين السوء، فقد قالوا وزعموا أنك مثل الشمس لا تلوح أي: تبدو إلا في النهار ولا ظهور لها في الظلام، وقولهم هذا له عندي يدٌ بيضاء: جميلٌ وصنيعٌ حسن.

لأن ذلك يعني إمكانية الوصال تحت جنح الظلام، فعلام تخشين الزيارة الآن وقد اطمأن الوشاة الذين يترقبون لك، أن يزورك مخلوقٌ في الدجى أي: ظلام الليل.

***هِيَ زَلَّةٌ فِي الرأْيِ مِنْهُمْ أَعْقَبَتْ * نَفْعَاً كَذَلِكَ تَفْعَلُ الْجُهَلاءُ***

***كَيْدُ الْغَبِيِّ مَساءَةٌ لِضَمِيرِهِ * وَلِمَنْ يُحَاوِلُ كَيْدَهُ إِرْضَاءُ***

وقد كان هذا الرأي الخائب منهم زلة قدمٍ لهم، فقد قصدوا منه الضرر ولكنه لم يتسبب إلا في النفع لنا، وكذلك يفعل الجهلاء ضعاف الرأي من الناس.

فإن الغبي حين يكيد لغيره فإن كيده بمثابة الإساءة لنفسه وضميره، فهو بغباءه يضر نفسه من حيث يظن أنه ينفعها، كما أن كيد الغبي لغيره هو إرضاءٌ لذلك الغير، لأنه لا يصيبه بسوء.

***والناسُ أَشْبَاهٌ ولَكِنْ فَرَّقَتْ * ما بَيْنَهُمْ في الرُّتْبَةِ الآراءُ***

***وَالنَّفْسُ إِنْ صَلَحَتْ زَكَتْ وَإِذَا خَلَتْ * مِنْ فِطْنَةٍ لَعِبَتْ بها الأَهْوَاءُ***

***لَوْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الرِّجالِ تَفَاوُتٌ * ما كانَ فيهِمْ سادَةٌ ورِعاءُ***

والمتبصر في أحوال الناس وأصنافهم يجدهم على قدرٍ من التشابه في الطباع والأحوال، ولكن يجد أيضا أن رتبهم تتفاوت فيما بينهم بتفاوت آراءهم، فهناك من رأيه حكيمٌ وصائب وهناك من هو بين بين وهناك من هو خائبٌ فاسد.

ونفس الإنسان إذا تحلت بالصلاح في ما يودع فيها من أخلاقٍ وطباعٍ ومعتقدات، فإنها تزكو أي: تطيب وتصلح أحوالها، أما إذا خَلَت نفس الإنسان من الفطنة والحكمة والتبصر في عاقبة الأمور والأحوال، وما يصلح وما لا يصلح، فإن الأهواء والشهوات تلعب بها وتدفعها إلى ما لا تُحمَدُ عقباه.

وعلى كُلٍّ فهذه سنة الله في الكون أن يكون بين الناس تفاوتٌ في الرأي والعقل، وإلا فلم يكن ليوجد بين الناس من هم سادةٌ وآخرون رِعاءٌ يلجئون إليهم لتسيير أحوالهم.

***وَلَقَدْ بَلَوْتُ النّاسَ في أَطْوارِهِمْ * ومَلِلْتُ حتَّى مَلَّنـي الإِبْلاءُ***

***فَإِذا المَوَدَّةُ خَلَّةٌ مَكْذُوبَةٌ * بَيْنَ الْبَرِيَّةِ والوَفاءُ رِياءُ***

***كَيْفَ الْوثُوقُ بِذِمَّةٍ مِنْ صاحِبٍ * وَبِكُلِّ قَلْبٍ نُقْطَةٌ سَوْداءُ***

ولقد بلوت الناس أي: اختبرتهم في كافة أحوالهم وأطوارهم وردود أفعالهم، ولقد أصابني الملل من ذلك وفعلت هذا الفعل حتى بلغ من كثرته أن الاختبار نفسه قد شعر بالملل مني.

ولكن ماذا أفعل إذا كانت المودة المزعومة بين الناس، ما هي إلا خِلَّةٌ إي: صفةٌ وخصلةٌ كاذبة لا تعدو كونها إدعاءاً، والوفاء ما هو إلا رياءٌ وسمعة.

وإذا كان الحال كذلك فكيف يمكن الوثوق بذمة أيِّ صاحبٍ أصحبه، والناس قد فسدت ضمائرهم وبقلب كل امرئٍ منهم نقطة سوداء.

***لَوْ كَانَ فِي الدُّنْيَا وِدَادٌ صَادِقٌ * مَا حَالَ بَيْنَ الْخُلَّتَيْنِ جَفَاءُ***

***فَانْفُضْ يَدَيْكَ مِنَ الزَّمانِ وَأَهْلِهِ * فَالسَّعْيُ فِي طَلَبِ الصَّدِيقِ هَبَاءُ***

فلو كان في الدنيا كما يُزعمُ وفاءٌ صادقٌ بين الناس، لما حل أبداً بين الخُلَّتَينِ أي: الصديقين المقربين جفاءٌ وقطيعة بكل هذه السهولة.

فيا من تسعى في طلب صديقٍ مخلص وفيٍّ في هذا الزمان، لا تتعب نفسك وانفض يديك من هذا الزمان وممن يعيشون فيه، فالسعي لطلب الصديق المخلص فيه ما هو إلا هباء.

# الصوفي والعقاد (قصة قصيرة)

كان طالبا في الأزهر الشريف، وكان طيب القلب جداً وعنده سذاجة في الفكر والقول ويمتاز بأنه عصبي للغاية، وكان كل ما يعرفه عن التصوف هو كلمات ومقالات قليلة، مفادها أن التصوف هو تحلية القلب بكل خلق طيب جميل، وحُسنُ العبادة والمحبة لله ورسوله ﷺ والصالحين.

وكانت تجذبه حلقات الذكر التي تقام عند أحد الأهالي في قريته الريفية، ويحضر فيها وتجتاحه رغبة شديدة في أن يقوم ويهتز في المدح، مع الذين يفعلون ذلك.

وبالرغم من ذلك الإنجذاب لمعرفة التصوف ولحضرات المدح والذكر، إلا أنه كان ممتلئاً بآراء المتشددين في الدين حتى ذهب إلى القاهرة، ليكمل الدراسة الجامعية في الأزهر الشريف.

وكان أول ما سعى إليه هو تلمس المتصوفين، ليعرف منهم تفاصيل أكثر ولربما صار مثلهم، حتى إذا انتهت دراسته كان قد تغير تماما، فقد صارت لديه منهجية علمية وعقلية وتخلى عن التعصب والتشدد.

وقد تعلم التصوف الرشيد المضبوط بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وصار متواضعاً جداً ورقيق القلب جداً، ومن ثم اتجه لقراءة كتب الأستاذ العقاد وعندها اكتشف من نفسه أنه صار متواضعاً بمذلة، ورقيقاً بدون قوةٍ في الحق والرأي.

وعندما اكتشف هذا النقص في شخصيته، ساءه ذلك الأمر وقرر أن يصلح هذا الخلل ويتمم هذا النقص الذي كان خافياً، فوجد في سيرة الأستاذ العقاد ومنهجه النقدي الذي كان يتمتع به، السبيل إلى ذلك.

فقد كان الأستاذ العقاد رحمه الله، شديد الصراحة في مشاعره وشديد القوة في مواقفه وآرائه، ما دام مؤمنا أن كل ذلك هو الصواب، ولم يكن يعرف التوسط في كل ذلك والمهادنة.

فقد كان شديد الكرامة والإعتداد بنفسه من غير غرور أو تعجرف، فكان كما وصفه الأستاذ أنيس منصور وهو يتحدث عنه في كتابه **في صالون العقاد كانت لنا أيام** ".....بمنطقه العنيف"

فلقد لخص حال الأستاذ العقاد بهذا الوصف، فقد كان رحمه الله صاحب فكرٍ ومنطقٍ عنيفين أي قويين، فأدرك ذلك الصوفي الأزهري أن ما فيه من فرط تواضعه يعدله فرط كرامة العقاد واعتداده، وأن فرط رقته وضعفه يعدله فرط قوة الأستاذ في رأيه وفكره، فاعتدل كل منهما بصاحبه.

وغير ذلك فقد استقر في وعيه رسم لملامح طريق البحث العلمي والأدبي، وازداد أفقه إتساعاً وعقله إدراكاً، وبعدما أدرك كل ذلك حمد الله الذي وفقه لذلك، وهداه لما فيه الخير.

# سلوا قلبي (شرحٌ وبيان)

**قال هذه القصيدة أحمد باشا شوقي رحمه الله**

***سَلوا قَلبي غَداةَ سَلا وَثابا * لَعَلَّ عَلى الجَمالِ لَهُ عِتابا***

***وَيُسأَلُ في الحَوادِثِ ذو صَوابٍ * فَهَل تَرَكَ الجَمالُ لَهُ صَوابا***

***وَكُنتُ إِذا سَأَلتُ القَلبَ يَومًا * تَوَلّى الدَمعُ عَن قَلبي الجَوابا***

يا من تسمعون قولي وندائي، أجيبوا ندائي وقوموا بسؤال قلبي عندما أصابه السلوان أي: تسلى وانشغل عن حبيبه، وتاب أي: كَفَّ عن محبة حبيبه وتركها وأقلع عنها، سلوه ما الذي دعاه لكل ذلك فلعل وعسى أن يكون ذلك مجرد عتاب على الجمال.

وعند حدوث الحوادث العظيمة التي تصيب الناس، يسألون فيها كل من كان ذا رأيٍ صائبٍ وحكمة، لكن كيف يُسأَلُ هذا الحكيم وقد أصابه عشق الجمال، فهل ترك له هذا العشق من صواب.

وإني كلَّما سألتُ قلبي يوماً عن الحال الذي أصابه وغيَّره لم يجبني، وترك الدموعَ تنوبُ عنه وتتولى أمرَ إجابتي على مسألتي.

***وَلي بَينَ الضُلوعِ دَمٌ وَلَحمٌ * هُما الواهي الَّذي ثَكِلَ الشَبابا***

***تَسَرَّبَ في الدُموعِ فَقُلتُ:وَلّى * وَصَفَّقَ في الضُلوعِ فَقُلتُ: ثابا***

***وَلَو خُلِقَتْ قُلوبٌ مِن حَديدٍ * لَما حَمَلَتْ كَما حَمَلَ العَذابا***

وإن لي بين الضلوع دمٌ ولحمٌ هما الواهي أي: الواهن الذي أصابه الضعف، وقد ثكل أي: فقد ونعى الشباب الذي كان يتمتع به في يومٍ من الأيام.

وقد تسرَّبَ هذا الشباب حيناً في الدموع عندما تسيل جرَّاء شوقي ووجدي، فعندئذٍ أقول قد ولَّى أي: ذهب وابتعد، وحيناً أجده قد صفَّقَ أي: ضرب في الضلوع وذلك عند لُقيا المحبوب، فعندئذٍ أقول ثابا أي: عاد ورجع.

ولو أنه كان من للمخلوقات قلوبٌ من الحديد وليست من اللحم والدم، لما استطاعت أن تتحمل مثل قلبي الذي أحمله، المعاناة والعذاب.

***وَأَحبابٍ سُقيتُ بِهِمْ سُلافًا * وَكانَ الوَصلُ مِن قِصَرٍ حَبابا***

***وَنادَمنا الشَبابَ عَلى بِساطٍ * مِنَ اللَذاتِ مُختَلِفٍ شَرابا***

***وَكُلٌ بِساطِ عَيشٍ سَوفَ يُطوى * وَإِن طالَ الزَمانُ بِهِ وَطابا***

وإن لي أحبابٌ من لذة عيشي بهم، أصابني السكر والانتشاء كأني قد سُقيت بهم سُلافاً أي: خمراً، وكان وصالي بهم للأسف الشديد من قصره، كأنه حَباب أي: فقاقيعٌ على سطح الماء سرعان ما تختفي، كذلك وصالي بهم سرعان ما ينقضي.

وقد نادمنا أي: صاحبنا شبابنا وتمتعنا به على فراشٍ أي: مائدة عليها مختلف اللذات من الطعام والأشربة، ولكن ذلك لم يدم طويلاً فكل بساط عيشٍ أي: حياةٍ بلذاتها وآلامها سوف يُطوى أي: ينقضي ويذهب، حتى لو طال به الزمان وكان هنيئاً طيبا.

***كَأَنَّ القَلبَ بَعدَهُم غَريبٌ * إِذا عادَتهُ ذِكرى الأَهلِ ذابا***

***وَلا يُنبيكَ عَن خُلُقِ اللَيالي * كَمَن فَقَدَ الأَحِبَّةَ وَالصَحابا***

وإن الأحباب بعدما غابوا وذهبوا وانقضت أيام شبابنا معاً، صار حال القلب من بعدهم كأنه غريبٌ في ديارٍ لا يعرفها ولا يألفها، وكلما تذكر الأحباب وعاودته ذكراهم يذوب.

وإن كنت تريد أن تعرف خُلق أي: طباع الليالي والأيام، فلا ينبيك أي: يأتيك بالعلم اليقيني عنها أحدٌ، مثل الذي فقد أحبابه وأصحابه وصار وحيداً غريباً.

***أَخا الدُنيا أَرى دُنياكَ أَفعى * تُبَدِّلُ كُلَّ آونَةٍ إِهابا***

***وَأَنَّ الرُقطَ أَيقَظُ هاجِعاتٍ * وَأَترَعُ في ظِلالِ السِلمِ نابا***

***وَمِن عَجَبٍ تُشَيِّبُ عاشِقيها * وَتُفنيهِم وَما بَرِحَتْ كَعابا***

فيا من هو متعلقٌ بالدنيا ويسعى لها، إعلم أني وأنا الخبير بها لا أراها إلا أفعى تبدل في كل وقتٍ وحينٍ جلدها ولونها، فهي مخادعةٌ ليس لها عهدٌ ولا أمان.

واعلم بأن الرَّقط أي: الأفعى المُنقَّطة، وهي من أخطر أنواع الأفاعي، قد أيقظت كل من هو هاجع أي: نائمٌ مطمئن، وأترعت أي: ملأت هذه الأفعى في السِلم أي: وقت السلام والأمان نابها المليئ بالسم القاتل.

وإن من عجيب الأحوال، أن هذه الدنيا تصيب من يعشقها بالشيب لكثرة ما تستعبده وترهقه وهو لا يدري، وتفنيه بدون أن تبرح أي: تقوم من مقامها ولو بمقدار تحريك كعب قدميها، فلا أيسر عليها من ذلك.

***فَمَن يَغتَرَّ بِالدُنيا فَإِنّي * لَبِستُ بِها فَأَبلَيتُ الثِيابا***

***لَها ضَحِكُ القِيانِ إِلى غَبِيٍّ * وَلي ضَحِكُ اللَبيبِ إِذا تَغابى***

فعلى من يغتر بتلطف الدنيا له وحسن سيرها معه، أن يعلم أني خبير بها فقد لبست بها أي: جربت أحوالها وأيامها حتى أبليت هذه الثياب، وهذا يدلك على مدى معرفتي بها وبأحوالها.

وإذا عرفت ذلك، فاعلم أن حال الدنيا مع عاشقيها الذين غرتهم، كحال القِيان أي: الفتيات الحسناوات اللاتي يقدمن

الشراب في حانات السكر واللهو مع الأغبياء من الرجال، الذين يظنون أن القيان عاشقاتٌ لهم لمجرد أنهن تضحكن لهم.

أما حالها لي فإني أضحك لها ضحك اللبيب أي: صاحب العقل والحكمة من الناس، الذي يدعي الغباء وهو ليس كذلك، فهي لا تستطيع أن تُغرِّر بي.

***جَنَيتُ بِرَوضِها وَردًا وَشَوكًا * وَذُقتُ بِكَأسِها شَهدًا وَصابا***

***فَلَم أَرَ غَيرَ حُكمِ اللهِ حُكمًا * وَلَم أَرَ دونَ بابِ اللهِ بابا***

وإني قد عايشت الكثير من التجارب ومررت بها في روضة هذه الدنيا، وقد جنيت من روضتها الورد والشوك، وذقت فيها بكأسها الشهد والصاب وهو: شرابٌ يستخرج من شجرة، ومعروفٌ أنه شديد المرارة.

وبعد كل هذه التجارب والأحوال، لم أرَ أن هناك حُكماً نافذاً غير حكم الله وقدره في هذه الدنيا، وأنه ليس هناك بابٌ يلجأ إليه العباد غير باب الله، فلا باب في الحقيقة إلا بابه جل في علاه.

***وَلا عَظَّمتُ في الأَشياءِ إلا * صَحيحَ العِلمِ وَالأَدَبَ اللُبابا***

***وَلا كَرَّمتُ إلا وَجهَ حُرٍّ * يُقَلِّدُ قَومَهُ المِنَنَ الرَغابا***

***وَلَم أَرَ مِثلَ جَمعِ المالِ داءً * وَلا مِثلَ البَخيلِ بِهِ مُصابا***

ولم أعظم من الأشياء شيئاً يستحق التعظيم وأظن في نفسي أنه عالي القدر، إلا العلم الصحيح الذي بني على أسس وضوابط صحيحة، منزهة من الأهواء والأغراض الخبيثة والأدب العربي الأصيل.

ولم أر ما يستحق الكرامة والشرف الرفيع، إلا الإنسان الحر الشريف الذي نزه نفسه عن الصغائر وكل ما يقدح بالمروءة، كما أنه فخرٌ لمن ينتسب إليه وينتسب إليهم.

وهو لا يعطي لقومه إلا الشرف وهو كريمٌ له على قومه منن يُرغَبُ فيها، كما أني لم أرَ داءاً يصيب الناس أشد فتكاً وشراً مثل داء البخل، ولم أرَ مريضاً أسوأ حالاً من الذي أُصيب بهذا الداء.

***فَلا تَقتُلكَ شَهوَتُهُ وَزِنها * كَما تَزِنُ الطَعامَ أَوِ الشَرابا***

***وَخُذ لِبَنيكَ وَالأَيّامِ ذُخرًا * وَأَعطِ اللهَ حِصَّتَهُ احتِسابا***

***فَلَو طالَعتَ أَحداثَ اللَيالي * وَجَدتَ الفَقرَ أَقرَبَها انتِيابا***

فانتبه لنفسك ولا تدع شهوة المال تتملك منك إلى أن توردك المهالك وتقتلك، وتحكم فيها وزنها كما تزن الطعام والشراب، وتحسب ما الذي يكفيك وما الذي يكون زائداً عن الحاجة.

وخذ بأسباب التكسب والرزق، وادخر لنفسك وبنيك والأيام ما ينفعك عند الشدة والعسر، ولا تنس حق الله عليك في هذا المال من زكاةٍ وصدقاتٍ، فإنك إذا طالعت أحداث الليالي والأيام التي يتقلب فيها الناس، لوجدت أن الغنى لا يدوم وأن الفقر هو أقرب ما يصاب به الناس.

***وَأَنَّ البِرَّ خَيرٌ في حَياةٍ * وَأَبقى بَعدَ صاحِبِهِ ثَوابا***

***وَأَنَّ الشَرَّ يَصدَعُ فاعِلِيهِ * وَلَم أَرَ خَيِّرًا بِالشَرِّ آبا***

ولقد علمت أن البِرَّ بمختلف أشكاله وألوانه، خير ما يسعى له الإنسان وخير ما يدخره لنفسه ولبنيه، وأن ثوابه هو الذي يبقى لصاحبه بعد موته، فلا تبقى الأموال ولا الجاه.

وعلمت أيضاً أن ممارسة الشر بمختلف أساليبه مهما طال أمده، فإنه لابد أن يصدع أي: يكسر ويضر فاعله، ولا محالة سيعود عليه بالندامة والخسران، وعلى العكس من ذلك فإني لم أر فاعلاً للخير من الناس، قد آل مصيره إلى الخسران والشر.

***فَرِفقًا بِالبَنينَ إِذا اللَيالي * عَلى الأَعقابِ أَوقَعَتِ العِقابا***

***وَلَم يَتَقَلَّدوا شُكرَ اليَتامى * وَلا ادَّرَعوا الدُعاءَ المُستَجابا***

فيا من تحمل هم بنيك ما يفعلون من بعدك، ارفق بنفسك وبهم بأن تعمل أعمال البر وتحثهم عليها، فكيف بك إذا انقلبت أحوال الليالي والأيام وأنزلت عليهم العقاب

وليس لك ولهم ما تتقلدونه سلاحاً، كشكر اليتامي عند الإحسان إليهم، ولا درعاً مثل الدعاء المستجاب منهم أو من طريق الكسب الحلال، وصدق الله تعالى إذ يقول:

"وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديدا".

***عَجِبتُ لِمَعشَرٍ صَلّوا وَصاموا * عَواهِرَ خِشيَةً وَتُقى كِذابا***

***وَتُلفيهُمْ حِيالَ المالِ صُمًّا * إِذا داعي الزَكاةِ بِهِمْ أَهابا***

***لَقَد كَتَموا نَصيبَ اللهِ مِنهُ * كَأَنَّ اللهَ لَم يُحصِ النِصابا***

ولقد عجبت لمعشرٍ من الناس، أراهم يصلون ويزكون ويظهرون ألوان العبادة لله ﷻ بينما هم عواهر أي: لا يتورعون عن الفواحش، ويظهرون تقوى الله والخشية منه وهم كاذبون.

وتجد الواحد منهم إذا ما دُعي لإخراج الزكاة أصابه الصمم أي: فقدان السمع، فقد كتموا نصيب الله الذي فرضه عليهم وهو رازقهم، كأن الله لم يحدد له ما يخرجونه ولم يحصه لهم.

***وَمَن يَعدِلِ بِحُبِّ اللهِ شَيئًا * كَحُبِّ المالِ ضَلَّ هَوًى وَخابا***

***أَرادَ اللهُ بِالفُقَراءِ بِرًّا * وَبِالأَيتامِ حُبًّا وَارتِبابا***

وإن الذي يترك محبة الله تعالى ويعدل بها أي: يفضل عليها محبة الشهوات مثل حب المال، فقد ضل في اتباعه هواه وخاب خيبةً عظيمة، فإن الله تعالى لم يفرض علينا الزكاة والصدقات، إلا لأنه أراد بنا والفقراء خيراً، وأراد للأيتام أن يشملهم العباد بالمحبة، وأن يعنوا بتربيتهم.

***فَرُبَّ صَغيرِ قَومٍ عَلَّموهُ * سَما وَحَمى المُسَوَّمَةَ العِرابا***

***وَكانَ لِقَومِهِ نَفعًا وَفَخرًا * وَلَو تَرَكوهُ كانَ أَذًى وَعابا***

فربما يكون هذا الصغير اليتيم أو أي صغيرٍ على العموم، إذا اعتنى قومٌ بتعليمه وتنشئته النشأة السوية السليمة، سَمَا أي: علا شأنه وصار حامياً للأموال والأعراض، مثل المسومة العراب أي: الإبل العراب.

وليس ذلك فقط بل يكون نفعاً لقومه ومدعاة للفخر، أما إذا تركوه ولم يعنوا بهذا التعليم وهذه النشأة، لكان سبباً للأذى ومدعاة للعيب والعار.

***فَعَلِّم ما استَطَعتَ لَعَلَّ جيلاً * سَيَأتي يُحدِثُ العَجَبَ العُجابا***

***وَلا تُرهِقْ شَبابَ الحَيِّ يَأسًا * فَإِنَّ اليَأسَ يَختَرِمُ الشَبابا***

فيا من تَعُولُ غيرك، ويا من رزقه الله العلم، قم بتعليم غيرك ما استطعت لذلك سبيلاً واجتهد في ذلك، فلعل أن يأتي جيلاً ممن تعلم على يديك، ترى على يديه العجب العجاب من الرقي والتقدم والازدهار.

واعمل كذلك على نشر روح التفاؤل والطاقة الإيجابية بين من هم في سن الشباب، ولا تساهم في وصول اليأس إلى نفوسهم، فإنهم في هذه المرحلة العمرية شديدوا الحساسية والتشتت، وإذا ما دخل اليأس على قلوبهم، فإنه يخترمهم ويفسد أرواحهم ويبدد طاقتهم.

***يُريدُ الخالِقُ الرِزقَ اشتِراكًا * وَإِن يَكُ خَصَّ أَقوامًا وَحابى***
***فَما حَرَمَ المُجِدَّ جَنى يَدَيهِ * وَلا نَسِيَ الشَقِيَّ وَلا المُصابا***
***وَلَولا البُخلُ لَم يَهلِكْ فَريقٌ * عَلى الأَقدارِ تَلقاهُمْ غِضابا***

تجلت حكمة الله وإرادته أن يكون الخلق مشتركون ومتساوون في الرزق، ولا يعني ذلك العطاء في كل شئ، ولكن العطاء بما يتناسب مع حال المُعطَى له، لذلك تجد أقوماً ميسوري الحال وآخرون مُعدَمُون لحكمة يعلمها الله.

وبالرغم من ذلك فإن الله تعالى لم يحرم المُجِدّ في السعي لتصحيل الرزق أو العلم، من جنى أي: ثمرة عمله ويديه، ولا ينسى من أصابه الشقاء في الحياة ولا المصاب المريض، ولولا

أن كثيراً من الناس أصابهم مرض البخل، لم تراهم إلا ساخطين على الأقدار معترضين، وعاشوا وماتوا على ذلك.

***تَعِبتُ بِأَهلِهِ لَومًا وَقَبلي" "دُعاةُ البِرِّ قَد سَئِموا الخِطابا***

***وَلَو أَنّي خَطَبتُ عَلى جَمادٍ" "فَجَرْتُ بِهِ الينَابيعَ العِذابا***

ولقد أصابني التعب والإعياء من كثرة نصحي لأهل البخل، ولومي لهم على بخلهم لعلهم يرجعون، ولقد أصاب هذا التعب أهل البر والخير من الناس من قبلي، الذين كانوا مثلي ينصحون أهل البخل من الناس.

وإني لأعجب من عدم رجوعهم وعدم تأثير الخطب فيهم، فإني لو خطبت هذه الخطب ووعظت بها الجماد، لتفجر من خشية الله وتأثره بما أقول، ولخرجت من تحته الينابيع العذبة.

***أَلَم تَرَ لِلهَواءِ جَرى فَأَفضى" "إِلى الأَكواخِ وَاختَرَقَ القِبابا***

***وَأَنَّ الشَمسَ في الآفاقِ تَغشى" "حِمى كِسرى كَما تَغشى اليَبابا***

***وَأَنَّ الماءَ تُروى الأُسدُ مِنهُ" "وَيَشفي مِن تَلَعُلُعِها الكِلابا***

فإليك طرفاً من الموعظة وآيات الله في الكون للتدبر فيها، ألم تر إلى الهواء الذي خلقه الله تعالى، فإنه يفضي أي: يصل إلى كل بقعةٍ في الأرض، ويصل للأكواخ كما يصل إلى القباب في القصور العالية.

وانظر كذلك إلى الشمس في الآفاق، فإنك تراها تغشى أي: تشمل كل ما تحتها، وتصل إلى قصر كسرى المنيع كما تصل إلى اليباب أي: الصحاري، وأن الماء الذي جعله الله سبيل حياةٍ، ترتوي منه الأسد ويتبقي منها ما يتلعلع أي: يشربه بقوةٍ الكلاب ويكفيهم.

***وَسَوّى اللهُ بَينَكُم المَنايا" "وَوَسَّدَكُم مَعَ الرُسلِ التُرابا***

***وَأَرسَلَ عائِلاً مِنكُم يَتيمًا" "دَنا مِن ذي الجَلالِ فَكانَ قابا***

***نَبِيُّ البِرِّ بَيَّنَهُ سَبيلاً" "وَسَنَّ خِلالَهُ وَهَدى الشِعابا***

ومن آيات الله تعالى أنه سوى بين البشر، في أن الكل مصيره الموت وإلى التراب مهما اختلفت وتعددت أسبابه، وجعل

التراب وساداً لكل من يموت حتى الرسل الكرام، مع علو قدرهم ومقامهم عند الله تعالى.

ومن منن الله تعالى على خلقه، أنه أرسل إليكم أيها الناس يتيماً من بني جلدتكم، يعولكم ليخرجكم من الضلال إلى الهدى، من قدره عند الله أن الله تعالى أدناه منه وقربه إلى حضرته.

هو نبي البر أي: الخير والهدى، وقد جعل البر والخير سبيلاً يتخذه أتباعه في حياتهم ومعاملاتهم، وسن السنن المنظمة للحياة والعبادة، وهدى شعاب مكة أي: أهل مكة فمن بعدها، فهو الذي أرسله ربه كافة للناس ورحمة للعالمين.

***تَفَرَّقَ بَعدَ عيسى الناسُ فيهِ" "فَلَمّا جاءَ كانَ لَهُمْ مَتابا***

***وَشافي النَفسِ مِن نَزَعاتِ شَرٍّ" "كَشافٍ مِن طَبائِعِها الذِئابا***

وقد أنبأ بمجيئه وبشر به كل الرسل من قبله، ونبي الله ورسوله عيسى، ولكن الناس اختلفوا من بعد عيسى عليه السلام في شأنه، ما بين مصدق ومكذب.

والذي يصدق يدعي أنه من عنده كما قالت اليهود وادعت، فلما بعثه الله تعالى كان لأهل الصدق متاباً أي: مرجعاً وسبيلاً للتوبة وعبادة الله تعالى.

كما أنه ﷺ قد عالج الناس من نزعات الشر في نفوسهم وشفاهم منها، وجاهد في ذلك ونجح فيه، فصار كمن عالج الذئاب من طبائعها، ونزع هذه الطباع منها.

***وَكانَ بَيانُهُ لِلهَدي سُبلاً" "وَكانَت خَيلُهُ لِلحَقِّ غابا***

***وَعَلَّمَنا بِناءَ المَجدِ حَتّى" "أَخَذنا إِمرَةَ الأَرضِ اغتِصابا***

وكان بيانه ﷺ أي: كلامه وفعاله، سبيل هداية للخلق جميعاً، فقد كان الإنسان الأكمل والأكثر خُلقاً، كما كانت خيله وفرسانه حُصوناً وجنوداً للحق والعدل والخير.

فإنه ﷺ علمنا أسباب الوصول للمجد وبنائه، حتى عظم أمرنا ودانت الممالك لحكمنا، وأخذنا إمرتها ممن تجبروا وأفسدوا اغتصاباً وعنوةً، وأرسينا مبادئ العدل والخير.

***وَما نَيلُ المَطالِبِ بِالتَمَنّي" "وَلَكِن تُؤخَذُ الدُنيا غِلابا***

***وَما استَعصى عَلى قَومٍ مَنالٌ" "إِذا الإِقدامُ كانَ لَهُم رِكابا***

وإن سبيل الحصول على ما يطلبه الإنسان ويرغب فيه ليس التمني، فهذا لا يصلح في هذه الدنيا، ولكن تؤخذ الدنيا بالمغالبة والقوة أي: بالاجتهاد والسعي في تحقيق المأمول.

وإنه لا يوجد منالٌ ولا مَطلبٌ يكون عصياً بعيد الحصول على قومٍ من الناس، إذا كان هؤلاء القوم يتحلون بالقوة والشجاعة والإقدام، فإن بهم تسهل الصعاب وتُنَالُ الرغائب.

***تَجَلّى مَولِدُ الهادي وَعَمَّتْ" "بَشائِرُهُ البَوادي وَالقِصابا***

***وَأَسدَتْ لِلبَرِيَّةِ بِنتُ وَهبٍ" "يَدًا بَيضاءَ طَوَّقَتِ الرِقابا***

تجلت أنوار مولد الهادي الحبيب ﷺ وانتشرت، وعمت بأطرافها كل البقاع، البوادي أي: الصحاري والقصابا أي: الأنهار، فعندها ينبت القصب.

وإن السيدة آمنة بنت وهبٍ، قد أسدت للبرية جمعاء يداً بيضاء أي: جميلاً ومعروفاً، أن ولدت خير الخلق ﷺ قد طوقت به رقاب الخلائق، لعجزهم عن شكره.

***لَقَد وَضَعَتهُ وَهّاجًا مُنيرًا" "كَما تَلِدُ السَماواتُ الشِهابا***

***فَقامَ عَلى سَماءِ البَيتِ نورًا" "يُضيءُ جِبالَ مَكَّةَ وَالنِقابا***

***وَضاعَت يَثرِبُ الفَيحاءُ مِسكًا" "وَفاحَ القاعُ أَرجاءً وَطابا***

لقد ولدته رضي الله عنها، وهاجاً منيراً له أَلَقٌ وسَناءٌ كأنها سماءٌ لمع فيها شهابٌ منير، فقام ﷺ على البيت مستقبلاً السماء من فوقه، وأضاء بنوره جبال مكة جمعاء، ووصل بنوره حتى النقابا أي: الطرق الضيقة الوعرة في الجبال.

أما يثرب أرض هجرته ﷺ، فقد ضاعت أي: تاهت وغمرها مسك الحبيب ﷺ وفاحت قيعانها وأرجاؤها وطابت.

***أَبا الزَهراءِ قَد جاوَزتُ قَدري" "بِمَدحِكَ بَيدَ أَنَّ لِيَ انتِسابا***

***فَما عَرَفَ البَلاغَةَ ذو بَيانٍ" "إِذا لَم يَتَّخِذكَ لَهُ كِتابا***

***مَدَحتُ المالِكينَ فَزِدتُ قَدرًا" "فَحينَ مَدَحتُكَ اقتَدتُ السَحابا***

فيا سيدي يا أبا الزهراء عذراً إليك، فقد جاوزت قدري ومكانتي بأن يمدح من هو مثلي مثلك، يا خير الخلق صلى الله عليك وسلم، غير أن لي نسبةً من جنابك

علَّها تخولني ذلك وهي تشريفي بأن يكون اسمي على اسمك، وإن أي شخصٍ يّدِّعي البلاغة والفصاحة، ولم يتخذ بلاغتك له قدوةً ودليلاً، فما عرف البلاغة ولا البيان.

وإن من فضائل مدحك يا خير الخلق، أنني قد مدحت الكثير من أصحاب الملك والسلطان، فزدت قدراً في الدنيا الوضيعة الفانية، ولكن لما مدحتك يا خير الخلق، صار من قدري أني أقود السحاب.

***سَأَلتُ اللهَ في أَبناءِ ديني" "فَإِن تَكُنِ الوَسيلَةَ لي أَجابا***

***وَما لِلمُسلِمينَ سِواكَ حِصنٌ" "إِذا ما الضَرُّ مَسَّهُم وَنابا***

وإني قد دعوت الله ورجوته وسألته الخير لأبناء ديني، فإن تكن أنت وسيلتي لإجابة هذا الدعاء يا خير الخلق، فإن الله يجيب،

فليس للمسلمين بعد الله حصنٌ سواك، إذا ما مسهم ضر وشرٌ وتناوب عليهم يا خير الخلق.

فأنت الذي تركت فيهم ما إن تمسكوا به، لن يضلوا أبداً وأنت الذي لا يعذبنا الله، ما دمت فينا.

**تم بحمد الله**

**١٧ ذو الحجة ١٤٤١ هـ**

**الموافق:**

**٧ / أغسطس / ٢٠٢٠ مـ**

# الفهرس

إهداء ---------- ٣
المقدمة ---------- ٤
المولد النبوي بين التشدد والمغالاة ---------- ٦
الإمام الشهيد ---------- ١٠
ليتفكروا ---------- ١٤
تخلقوا بأخلاق الله ---------- ١٧
تواضعوا ولا تذلوا ---------- ٢٢
تخلقوا بأخلاق المُكَمَّل ---------- ٢٧
مَن الأشراف؟ ---------- ٣١
رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ---------- ٣٦
أَنعِم بحسن الظن ---------- ٤١
قيمة المشاعر الإنسانية في الإسلام ---------- ٤٧
قَدِّرُوا نعمة الله ---------- ٥٣
أرسلها لعشرين شخص وإن لم تفعل... ---------- ٥٩
عام ٢٠١٩ ---------- ٦٢
تمثال براتيسلافا ---------- ٦٥
من هنا كان منشأ التطرف ---------- ٦٩

الإستعباد الزوجي ---------- ٧٣
الكلمة وأثرها على الفرد والمجتمع ---------- ٧٧
إحذر يا مواطن ---------- ٨١
فرَّطوا فندموا ---------- ٨٤
لماذا الأدب؟ ---------- ٨٨
المواطنة الحقة والإنتماء الحق ---------- ٩٢
كرامة الإنسان ---------- ٩٦
أبناء الإنسان ---------- ١٠٠
تيارات جديدة ---------- ١٠٣
تخلفنا عن ركب الأمم ---------- ١٠٨
المعلمون الصغار ---------- ١١٢
عام 2020 ---------- ١١٦
الحرب العالمية!! ---------- ١٢١
ما أحوجنا إلى السيد ---------- ١٢٥
تعلموا من البدو ---------- ١٢٩
التعليم في أرض الكنانة ---------- ١٣٣
من لم يوقر كبيرنا ---------- ١٣٧
اعقلوا وتوكلوا ---------- ١٤١
علمتني الهرة ---------- ١٤٥
ولو كنت فظاً ---------- ١٤٨
لا تكونوا من المثبطين ---------- ١٥٢

الأبطال الصغار ---------- ١٥٧
ربوهم قبل أن تزوجوهم---------- ١٦٢
هل ربيتم أبنائكم؟ ---------- ١٦٩
إن كنت صديقي خذ بيدي ---------- ١٧٥
إلتزامٌ أم مِراء ---------- ١٨١
إنه الأزهر...وقالوا عنه! ---------- ١٨٨
الشعر الفصيح والعامي بين الأصالة والحداثة ---------- ١٩٧
دع الأيام (شرح وبيان)---------- ٢٠٥
الخير والشر (شرحٌ وبيان) ---------- ٢٠٩
أتاني أبيت اللعن (شرحٌ وبيان) ---------- ٢١٥
قصيدة صِلةُ الخيال (شرحٌ وبيان) ---------- ٢٢٠
الصوفي والعقاد (قصة قصيرة) ---------- ٢٣٢
سلوا قلبي (شرحٌ وبيان) ---------- ٢٣٥
الفهرس---------- ٢٥٦